المشرق

نبأ عن دار الحرب
بوصف طرابلس الغرب

نظر تاريخي جغرافي بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اعلان دولة ايطالية للحرب وهجومها على احدى ولايات الدولة العليَّة على غرَّة وخلافاً لحقوق الامم كانا كانفجار لغم دوى وسط ليلة هادئة في مسامع قوم رقود فقاموا مذعورين او شبه كابوس طبَّق على صدرٍ سقيم فانتفض لهُ هلعاً

والحقّ يقال ان اسم طرابلس الغرب ما كاد يخطر على بال احد في تاريخ السياسة الحاليَّة وانَّما كانت الافكار مصروفة الى انحاء شتى سواها حيث كانت تجري امور اعظم شأناً واحرج خطَّة. والآن لم يبقَ الَّا ان ننتظر ما ستحبل بهِ هذه الحرب من مواليدِ السوء التي وصفها زهير:

فتنتج لكم غلمان اشأم كلُّهم كأحمر عادٍ ثم تُرضع فتفطم

فدرءُ شرورها ينبغي على كلّ ابناء الوطن ان يرفعوا الى ربّ السلام اكفّ الدعاء كي يُزيل قزيباً كل خلاف ويعيد الوئام التامّ بين المتخاصمين امَّا بتوسط الدول الملازمة للحياد. واما بطريقة التحكيم في مجلسٍ لاهاي او بواسطة أُخرى سلميَّة فانَّهُ السميع المجيب

*

على انَّنا في هذا المقام رأينا من الصواب ان نصف للقرَّاء في مقالة موجزة مجمل احوال ولاية طرابلس الغرب فتوقفهم على مختلف امورها ليكونوا على بصيرةٍ من اخبارها وعلى الله المتكل

﴿ حدودها ﴾ قد اختلفت حدود بلاد طرابلس الغرب في اطوار تاريخها. وهي اليوم محدودة شرقاً بالقطر المصري وصحارى ليبية وغرباً ببلاد تونس ويحدُّها من جهة الشمال بحرنا المتوسط ولاسيما خليج السدر وتتاخمها جنوباً اطراف فزّان والصحراء السودانيـة. فيكون موقعها بين الدرجة ٢٣° و١٥ ٣٣° من العرض الشمالي وبين الدرجة ١٠° و٢٢° من الطول الشرقي طولها من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كيلومتر وبين الشمال الى الجنوب ٦٨٠ كيلومتراً وتكسير مساحتها نحو ١٠٢٠٥٠٠٠ كيلو متر مربَّع فتكون نحو ضعف فرنسا كلها. ومع اتّساع ارجائها لا يزيد كثيراً عدد سكّانها عن مليون واحد اعني بمعدَّل ساكن واحد لكل كيلومتر

﴿ اقسامها وهيئتها ﴾ طرابلس الغرب احد الاقطار التي تحدُّ في الشمال قارة افريقية يعدُّونها من البلاد التي كان الرومان استولوا عليهـا فدعوها باسم افريقية الرومانية وهي البلاد الواقعـة بين الاوقيانوس المحيط غرباً ومصر شرقاً اخصُّها موريتانية ونوميدية وليبية. ثم عُرفت في القرون المتوسطة ببلاد بربارية باسم ساكنيها البربر او البرابر (Barbarie, Etats Barbaresques) وكانت تشتمل بعرفهم مرّاكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب

وطرابلس عينهـا تُقسم الى اقطار شتى اخصُّها بلاد برقة ثم طرابلس وفزّان وواحات اخرى كانت قديماً مدن عامرة كقيرينة (Cyrène) وتخومهـا الشهيرة بالخشب والعسران (la Cyrénaïque) وكانت قيرينة داخلة في بلاد المدن الخمس (la Pentapole) وهي قيرينة وابولونياس وبرقة وطوكيرة وهسپريس كانت تكثر فيها الخيرات وتتوفر الارزاق. اما طرابلس ومعناهـا المدن الثلث فكانت مجموع ثلث مدن متحالفة وهي واية (Oea) ولپتيس او لبدة (Leptis Magna) وسبراثا او سبرَتَ (Sabratha) ثمَّ غلب اسم المجموع على الاولى فعُرفت وايةُ ايضاً بطرابلس. واضيفت كلتاهما الى الغرب لفرقهما عن طرابلس الشام

اما الواحات فهي في داخل البلاد اشهرها اوجلة وفزّان وكفرا. وغات

ولواء طرابلس في عهدنا يُقسم الى خمس متصرفيّات : اوّلاً متصرفيّة طرابلس ومركزها مدينة طرابلس البالغ عدد اهلها من ٥٠,٠٠٠ الى ٦٠,٠٠٠ نفس. ثانياً متصرفيّة جبل غربيّة ومركزها غدامس التي يبلغ اهلها خمسة آلاف بنيّف. وهي

وسط الصحراء ثالثاً متصرفيَّة فزَّان وهي جنوبي الولاية مركزها مرزوق واهلها ٦٠٠٠ وفيها ملتقى القوافل القادمة من السودان والراحلة اليها . ومن اشهر مدنها سبحة وزالَّة . رابعاً متصرفيَّة خمس ومركزها سكنة . خامساً متصرفيَّة بني غازي او بنغازي واهلها ٢٠,٠٠٠ ومن مدنها برقة ودرنة

﴿ وصفها ومرافقها ﴾ ان بلاد طرابلس متفاوتة من حيث خصبها وخيراتها ففيها الرياض النضرة والاتلاع المخصبة والاودية الدارَّة النعم وفيها ايضاً الصحاري المقفرة والاراضي القاحلة والسباخ المحجرة او المرملة . ومن اخصب اتلاعها بلاد برقة التي كان يعدُّها اليونان والرومان كجنَّات العالم لاسيما الاتلاع التي كانت تعلو فوقها مدينة قيرينة وتُعرف جهاتها اليوم بالجبل الاخضر لكثرة نباتها ووفرة اشجارها ونضارة حدائقها . وهناك كانت رياض غنَّاء كان يُضرب المثل بمحاسنها ومياهها ورطوبة هوائها يدعونها حدائق المسپريد (Jardins des Hespérides) باسم احدى المدن الخمس التي كانت هناك قريبة منها . واليوم اذا بلغ المسافر تلك الجهات يجد من الراحة ما ينسيه اتعابهُ ومشاقّ سفرهِ في البراري المجدبة . وتهطل الامطار غزيرة في الجبل الاخضر في فصل الشتاء وكان قدماء الرومان لا يضيعون منها شيئاً فيخزنونها في الاحواض لأيام الصيف ليستنبتوا ضروب الغلَّات ويجنوا كثيراً من الاثمار والافاويه والارواح العطريَّة والعقاقير قيل انَّ غلَّاتهم كانت تُعطي من ٢٠٠ الى ٣٠٠ في الواحد وكانوا يصطنعون الارجوان كاعمل صيداء . ومعظم ما يُجنى اليوم الشعير والحنطة وبعض البقول والفواكه ثمَّ التبغ ويكثر عندهم الزيتون

ويلي الجبل الاخضر قسم آخر من كورة برقة يُعرف ببرقة الحمراء لحمرة تربتها ويتبعها برقة البيضاء وكلها سباخ

امَّا المدن الجليلة التي كانت سابقاً في هذه الجهة فقد ذهب اكثرها بتعادي الزمان وكوارث الحدثان بقي منها بعضها القليل . فمن تلك الامصار القديمة بلدة دَرْنة على ساحل البحر كان اليونان يدعونها دَرْنيس واليوم يسكن اخربتها قومٌ من العرب ولها اشجار وبساتين يسقيها نبعان يجريان اليها من الجبال المجاورة . ويكثر فيها العسل وفي بحرها مغاص للاسفنج . وفي شرقيها مرسى طبروك الطبيعي الواسع الاطراف

وقد بقي من قيرينة القاعدة القديمة بعض آثار ابنيتها من قصور ومدافن والعرب يسمونها قرنة وربما اطلقوا عليها اسم عين الشهد باسم عين غزيرة تجري هناك. وكانت قيرينة تبعد عن البحر مسافة ١٦ كيلومترًا وكان مرفأها مدينة ابولونية

اما مدينة برقة وهي التي كان يدعوها القدماء برنيقة (Bérénice) فقد صعبت على الزمان واشتهرت في ايام العرب قال ياقوت في وصفها (١ : ٥٧٣) : « ارض برقة ارض نَاوقيَّة بحيث ثياب اهلها ابدًا محمَّرة لذلك ويحيط بها البرابر من كلّ جانب وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة . . . واهلها يشربون من ماء السماء يجري في اودية ويفيض الى برك بناها لهم الملوك ولها آبار يرتفق بها الناس». وقال ابن حوقل : « برقة بلدة متوسطة هي في ستر من الارض وحواليها كورة عامرة وهي في وسط البوادي » : وقال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٩) : غالب بلاد برقة مقفرة وبها آثار مدينة عظيمة كانت عامرة في القديم ». وروى عن العزيزي انها « مرجٌ افيح واسع وتربتها حمراء » وانَّ « المتوكل الخليفة بنى عليها سورًا »

وكان لبرقة فرضة مشهورة ابتناها البطالسة ودعوها باسمهم بطلمايس (Ptolémaïs) فاشتهرت بين المدن الخمس ويظهر انها اتسعت كثيرًا حتى ان بقاياها اليوم تتناول دائرتها سبعة كيلومترات واهل تلك البلاد يدعونها طلميثا وقد ذكرها ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٩) وذكر مرساها وقصرًا كان يسكنهُ مانئا يهوديّ تحت خفارة العرب. وهذا المرسى اليوم قد خرب لا يصلح الّا للزوارق والمراكب الشراعية ويسكن في اخربة البلد بعض العربان

وكذلك طوكيرة او طوكر (Teuchera) من المدن الخمس تُرى آثارها حتى اليوم على ساحل البحر غربي مدينة برقة لا يزال سورها قائمًا حولها وفيها مدافن منقورة في الصخر يسكنها العرب وقت الصيف او يضربون خيامهم بين اخربتها

واشهر من المدن السابقة مدينة هسبريدس (Hespérides) اليونانيَّة وهي اليوم مدينة بنغازي حاضرة بلاد برقة قيل انها دُعيت ابن غازي باسم احد اولياء المسلمين الذي يُزار قبرهُ شمالي البلد على شاطئ البحر وكان لبنغازي رأس يطلُّ عليها اخربت قسمًا منهُ الزلازل وامواج البحر فطُمر بهِ المرسى. والمدينة داخلة في البحر الذي يحدق بها جنوبًا وغربًا. وهي بلدة عامرة فيها ابنية كثيرة مستحدثة محكمة

البنيان واهلها نحو ١٥,٠٠٠ العشر منهم اوربيون بين ايطاليين ومالطيين وانكليز. وحول المدينة لرباض مخصبة ومراعٍ تسرح فيها المواشي وفي بحرهـا مغاص ايضاً للاسفنج. لكنَّ مرساها غير امين لا تأوي اليه السفن الكبرى وانما ترسو فيه المراكب القليلة العمق بعد ان أُصلح نوعاً

هذه لخصّ مأثورات بلاد برقة. وان سرتَ منهـا غرباً على ساحل البحر عطف يك المسير جنوباً فاستدار على دائرة كبيرة يتكوَّن منهـا خليج السدر الذي كان القدماء يدعونهُ السرت الكبرى (Grande Syrte) تمييزاً لهُ من خليج آخر اصغر منهُ واقرب الى تونس كان يسمى السرت الصغرى (Petite Syrte) وكان ارباب السفن لا يقتربون منهـا الّا بكل حذر لكثرة صخورهـا ولعلَّ اسم السدر العربي تصحيف السرت اليونانيَّة. وقد يُطلق اليوم لسم سُرت على مدينة صغيرة على ساحل البحر وصفها ابو عبيد البكري في المسالك والممالك (ص ٦) في القرن الحادي عشر للميلاد وسمتها «بمدينة كبيرة» وذكر سورها المبني بالطوب وجامعها وحمّامها واسواقها ونخلها وبساتينها وآبارها العذبة ومواشيها الطيّبة الّا انهُ يذمُّ اهلهـا العبيد واكثرها اليوم خراب

وليس من هناك الى كورة طرابلس الّا رمال او سباخ لا يُرى في وسطها سوى بعض اهـل البادية من العربان وربما قامت في وجه البحر صخور كانت تتحطم عندها المراكب. وفي امكنة كثيرة مستنقعات وخمة تجعل فيها السكنى خطرة والهواء موبئاً الّا انَّ دخول البحر في البلاد يقرّب الطريق الى بلاد السودان وذلك ما يجعل لخليج السدر مستقبلاً حسناً اذ اليه ستنتهي السكك الحديديَّة الى اواسط افريقية الشماليَّة. وفي شرقي طرابلس على ٥٠ ميلاً منهـا مدينة خمس الساحليَّة واهلها نحو ١٢,٠٠٠ نفس

غير انَّ اهمّ تلك الانحاء متصرفيَّة طرابلس التي لدخول سواحلها في الميـاه ومجاورتها لبـلاد تونس وانتصابها بازاء صقلية ومالطة كانت في الاجيال السابقة كاحدى سيدات البحر تجري اليها قوافل افريقية والسودان وتغشيها بمرافقها الجمَّة. وقد اطنب في وصفها جغرافيُّو العرب فاشاروا الى حصانتها وذكروا سورها المبني بالصخر ومرفأها الامين واسواقها الحافلة الجامعة وحمّاماتها الكثيرة ومساجدها

لاسيما الجامع المعروف بالقبة وقوسها الروماني وخصب تربتها وترقي صناعتها

وما يجعل لمدينة طرابلس شأناً عظيماً انها منفذ للبلاد الداخلية اليها تتوارد محصولات السودان على طريقي غدامس ومرزوق. وهي تفضل في ذلك على مرافئ الجزائر وتونس. وللمدينة تحصينات مهمة اخصُّها قلعتها الجديدة ثم عدة قلاع قديمة تُنسب الى الامم التي اقامتها عند احتلالها للمدينة. اما سكانها فقد احصاهم مؤخراً احد المرسلين ٦٠,٠٠٠ منهم ٤٠,٠٠٠ عرب وترك و١٠,٠٠٠ يهودي و٨,٠٠٠ نصراني. خربتْ طرابلس وملحقاتها آثار قديمة عديدة كهياكل وملاعب وقصور يرقى بعضها الى عهد الفينيقيين والرومان ومن آثار كورتها مدينة لبدة (Leptis) احدى المدن الثلث التي بها سُميت طرابلس يُرى منها حتى اليوم رسوم قديمة على بُعد خمسين ميلاً من طرابلس شرقاً بينها اعمدة من رخام عظيمة وابراج ضخمة بعضها على منعطف الجبل المجاور وبعضها قد غمره البحر. قيل انها بلغت بالعمران مبلغ قرطجنة ثم خربها الوندال

اما المدينة الثالثة سَبْرَت (Sabratha) فلا يُعرف غير موقعها

وكورة طرابلس تحتوي الخزون والبطون بينها الاودية المخصبة يكثر فيها النخل والزيتون والاشجار المثمرة وتتوفر الغلات وتمتد المناجع الطيبة وبينها ايضاً الصحارى الغامرة والسباخ القحلة والاراضي الجدبة التي لا تصلح لزرع وعلى بعض مسافة من الساحل سلسلتا جبال تتوازيان كلبنان وجبل الشيخ بينهما بقاع كبقاعنا واسعة الخيرات كثيرة الخصب معدل مسافتها ثلاثون ميلاً. ومن جبالها ايضاً جبل نفوسة في جنوبيها الغربي. ولاهلها عناية خاصة بتربية النحل ومشارة العسل. ومن مدن طرابلس غدامس على طريق بلاد السودان فيها الجلود المفضلة ولها عين غزيرة الماء طيبة بقربها آثار قصر رومي جليل وكانت قوافل البلاد الداخلية تتزاحم فيها الا انها منذ امتلاك الاوربيين لبلاد الكنغو صارت تفضل طريقها الامينة

اما المتصرفيات الداخلية فواحات عامرة في وسط السباخ والصحارى منها جنوبي برقة واحات أوجلة وكفراء حيث النخل والاشجار والفواكه. وقد استولى على تلك البلاد السنوسيُّون منذ نحو خمسين سنة. ثم واحات فزّان وقاعدتها زويلة اشتهرت باسواق الرقيق قال عنها ابن سعيد انها « جزائر نخل ومياه في صحارى »

وكذلك في فزّان من الامكنة العامرة زالّة مدينة صغيرة عامرة كان لها حصن منيع. ووادٍ فيها مزارع ذرة وتوت ونخيل ومواشي. وسَنترية الشهيرة برمّانها وهي وبئة. ومنها واح غات حيث مدينة حديثة يسكنها البربر ومدينة بركة اهلهـا طوارق (Touaregs)

﴿ تاريخها ﴾ يظهر ان اوّل من سكن طرابلس الغرب الفينيقيون استعمروها كما استعمروا سواحل تونس حيث بنوا قرطاجنة. الّا ان بلاد برقة كانت واقعة تحت نفوذ المصريين وماوكهم الفراعنة. ثم مصّرها اليونان في عهد البطالسة ونشروا فيها عمران بلادهم وبلّغوها ذروة الحضارة. ولمّا فتح الرومان قرطجنة سنة ١٤٦ قبل المسيح ودمّروا ابنيتها استولوا على كل بلادها وجعلوها اقليماً من اقاليمهم فدعوها افريقية الرومانية وكانت طرابلس داخلة في حكمها الّا بلاد برقة التي لم تلحق بها الّا بعد زمان

وخلف الرومانَ ملوكُ الروم في القسطنطينية فوكلوا تدبير اقليم افريقيـة الى عمالهم الى ان غلبهم عليه ملوك الوندالة في القرن الخامس فنهبوهُ وبقي في حوزتهم مدّةً ثم عاد الروم فملكوهُ الى عهد العرب الذين ساروا اليـهِ بعد فتح مصر ولم يزالوا يحملون على برقة وطرابلس الحملة بعد الحملة حتى استولى عليهما سنة ٢٩ للهجرة (٦٥١ م) عمرو بن العاص ثم اتمّ الفتح عقبة بن نافع لكن البربر اغتالوهُ وقتلوهُ مع قوم من العرب ولم تنتظم الامور الّا في ايّام بني اميّـة لما تولّى على افريقية موسى بن النصير سنة ٧٧ هـ (٦٩٧ م) ففرّق شمل البربر وقتل قائدهم كسيلة

وتتابعت الولاة على طرابلس وملحقاتها من قبل بني امية ثم من قبل بني العبّاس من بعدهم حتى تولّى ابراهيم بن الاغلب سنة ١٨٤ هـ (٨١٠ م) واستقلّ ابناؤهُ من بعدهِ الى عهد ثامنهم ابي مضر زيادة الله فانتقض جبل الاغالبة وضعفوا فارسل خلفاء الدولة الفاطمية جيوشهم فضبطوا بلاد طرابلس سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) ثم غلبهم عليها بعض عمّالهم وصارت الى بني زيري سنـة ٣٦٢ (٩٧٢ م) لكنّ الفاطميين استرجعوها سنة ٤٤٦ (١٠٤٤ م)

وفي سنة ٥٤٣ (١١٤٩ م) فتحها ملك صقلية روجار من ملوك النرمنديين مع

سواحلها الى قرب تونس ولم تطل مدة ملكهم على انحائها فبسط سنة ٥٥٣ (١١٥٨ م) عليها الموحدون ايديهم. ثم صارت من بعدهم الى اصحاب تونس من عمال الموحدين وهم المعروفون ببني حفص فملكوها من السنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م) الى ٩١٥ (١٥١٠ م) فاستولى عليها فرديناند ملك اسبانية وابنهُ كارلوس الخامس ثم تنازل هذا عنها لفرسان رودس سنة ١٥٣٠ لكنَّ طرغود باشا انتزعها من يدهم سنة ٩٥٥ (١٥٥١م) وجعلها حصناً حصيناً يأوي اليهِ قرصان البحر فينقضُّون كالبُزاة على سفن الاوروبيين. ثم ملكها الفرنسويون مدة سنة ١٠٩٤ (١٦٨٥ م) وانما استرجعتها الدولة العليَّة وحفظتها تحت حكمها الى اواسط القرن الثامن عشر حيث استقلَّ بها احمد بك احد الامراء القرمانيين تحت سيطرة الدولة العثمانية. وفي سنة ١٨٣٥ عادت للدولة السيادة التامَّة عليها فجعلت طرابلس كاحدى ولاياتها

فترى كم تقلَّب على طرابلس من الاحكام وقد ابقت كل دولة فيها شيئاً من آثارها لاسيما مدينة طرابلس حيث عدَّة قلاع تُنسب كل منها الى الدولة التي ابتنتها

﴿ اهلها ﴾ ان اهل طرابلس الغرب الوطنيين هم البربر او البرابر والبربر قبائل متعدِّدة يُفضلون السكنى في الجبال ففي الجهات الشرقيَّة قبائل لواتة وهم من نسل قدماء الليبيين. وفي اواسط البلاد قبائل زناتة اما النواحي الغربيَّة فتسكنها قبائل صنهاجة ونفوسة. ومن نفوسة كان طارق فاتح الاندلس. ومن قبائل البربر الكبيرة الطوارق وهوارة وبنو مزاب وهم قوم ذوو بأس ونخوة واباء. وللبربر لغةٌ خاصَّة يلحقونها باللغات الهندوجرمانية وقد امتزج فيها الفاظ عربيَّة كثيرة

واكثر سكَّان بلاد طرابلس بعد البربر العرب قيل انَّ بعضهم سبقوا الهجرة فاتوا افريقية في ايَّام ملوك حمير فنزلوا البلاد وسكنوها والبعض الآخر قدم مع عمرو بن العاص او قصدها من بعده بتوالي الاعصار. والعرب يأنسون الى البراري وينتجعون المراعي الطيبة لمواشيهم وقد افسدوا غابات كثيرة واحرقوها لتصلح لقطعانهم. ومن قبائلهم الشهيرة اولاد سليمان وبنو ارفلَّة وهم اصحاب غارات وحروب ثم اولاد ابي يوسف قوم كرام ذوو اخلاق رضيَّة. وكثيراً ما اختلط البربر والعرب بالزواج حتى صار يصعب الفرق بين الفريقين صورةً ونسباً

ومع البربر والعرب يكثر في طرابلس الغرب جيل الزنوج كان النخَّاسون يأتون

بهم من البلاد الداخليَّة فيبيعونهم كعبيد ثم كثروا حتى اتخذوا لهم ضياعاً وقرى بيوتها من القصب وسعف النخل ومنهم من يأوي في الجبال الى كهوف واسعة احتفروها وسكنوها مع اهلهم ومتاعهم . والزنوج على هيئات شتى ومن قبائل متعدّدة . ولغتهم تُعرف باللغة السودانيَّة

والترك في طرابلس الغرب ليسوا بالعدد الوافر وانما يضبطون زمام الامر فمنهم الولاة والعمّال والشُرَط . وهم في التمدُّن ارقى من سواهم من اهل طرابلس

وفي انحاء طرابلس ايضاً نحو ٢٠,٠٠٠ من اليهود وأكثرهم في المدن ومنهم من يسكن في المغاور كالزنوج خصوصاً في جبل غوريان . ولهم حاخام وُكلت اليه ادارتهم وتنظيم امورهم والمسئوليَّة عنهم لدى الحكومة

وهناك ايضاً قوم من الاجانب لاسيما الايطاليين والمالطيين والاسبانيين مع قليل من الاقباط . وكان هؤلاء الاجانب قد كثروا في هذه المدَّة الاخيرة

﴿ تجارتها ﴾ انَّ موقع بلاد طرابلس الغرب يجعلها من افضل البلاد للمتاجرة اذ هي فرضة افريقية السودانيَّة والوسطى بين قبائل الجهات الداخليَّة وبلاد العرب ولذلك ترى السيَّاح والجغرافيين منذ قديم العهد يقفون في بيان معاملات مدنها الساحليَّة مع الاصقاع البعيدة عن البحر غير انَّ صروف الدهر والتقلبات التي طرأت على تلك الاصقاع وتوالي الامم في ملكها كلُّ ذلك قد خفَّف تلك الحركة التجاريَّة وحصرها في مراكز قليلة اخصُّها اليوم بنغازي وطرابلس وطبروك وهي في نفس هذه المدن ضيِّقة النطاق اذ ليس لها مرفأ يمكن السفن الكبرى من الرسو عندها

وكانت صادرات طرابلس قديماً الانسجة القطنيَّة والصوفيَّة والحريريَّة وكان فيها معامل شهيرة للاقمشة وللطنافس وللسختيان واستحضار الجلود وتُساق اليها المواشي والقطعان واليها كانت تتوارد جواهر البلاد الداخلية وحجارتها الكريمة والعاج وريش النعام والصمغ والزعفران . وكثير من هذه الصادرات قد بطل اليوم واخصُّ محصولات طرابلس في زماننا الحلفاء يبيعون منها بنحو ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك ثم الملح المعدني والصناعي والكبريت والعاج وريش النعام والمواشي . وممَّا بطل ايضاً مع ترقي التمدُّن وبفضل اتفاق الدول لسواق الرقيق التي كانت تُقام في طرابلس فيباع العبيد بيع السلع والحيوان

اما الواردات فمعظمها المنسوجات الاوربيّة والمعادن النافعة كالحديد والنحاس ثم الحرفيّات والافاويه والبزور والشمع والتبغ وقد قدّر بعض الاقتصاديين قيمة صادرات ايالة طرابلس بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وارداتها بنحو ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ - يدخلها في السنة نحو ٧٠٠ سفينة محمولها قريب من ٣٠٠,٠٠٠ طنّ

﴿ الاديان ﴾ الدين الشائع في طرابلس الغرب انّما هو الاسلام مع سننهِ وفرائضهِ . وانّما الاهلون حنفيّون بينما الاتراك يجرون على مذهب الامام مالك . وقد شاعت في جهات المغرب والجزائر وتونس وطرابلس طوائف نصفها ديني ونصفها الآخر سياسيّ تنتمي الى بعض مشاهير الرجال الذين تتلمذ لهم الناس فجروا على طرائقهم في العبادات والفرائض والمناسك منهم الصوفيّون والدراويش والاخوان ينضمّ الطالبون الى جماعتهم بعد امتحان معلوم ويعيشون في الزوايا او مع جمهور الناس مرتبطين بروابط الطاعة لرئيس الطريقة اشتهر منهم في سواحل المغرب القدريّة والشاذليّة والطيبة والتيجانيّة والرحمانيّة

ومن افاض الكتبة في اخبارهم في اواسط القرن السابق السنوسيّة الذين كثر فيهم القال والقيل في هذه المدة الاخيرة وخلاصة تاريخهم انّ الشيخ محمّد ابن السيد علي السنوسي الخطابي المجاهريّ المولود سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ — ١٧٩٢ م) في مستغنم من اعمال الجزائر من اسرة تترقّى الى الحسن بن علي كان انقطع في شبابهِ الى درس القرآن والفقه في وطنهِ ثم رحل في السنة الثلاثين من عمرهِ الى فاس فأخذ عن علمائها وبعد سبع سنين رحل الى مكّة وزار في طريقهِ ائمة زمانهِ ودرس الطرائق الشائعة من قبلهِ في جهات المغرب ثمّ في مصر والحجاز . ولقي في مكّة السيد احمد ابن ادريس الفاسي فتتلمذ لهُ واخذ عنهُ طريقتهُ الخادريّة حتى برع فيها . فلمّا توفي استاذهُ لم يتفق تلامذتهُ في اختيار خلفهِ فانقسم الخادريون قسمين قسم تبع السيد الهندي محمّد صلاح المرغنيّ وقسم انضم الى الشيخ محمّد السنوسيّ الجزائري واتّخذ كلاهما في مكّة زاوية لاصحابهِ . فابتنى الشيخ السنوسي زاويتهُ على جبل مجاور لمكّة يُدعى ابا قبيس كان يعلّم فيها فتوارد اليهِ الطلّاب لشهرتهِ لاسيما من اهل المغرب وجهات افريقية فبقي هناك يعلّم ثماني سنوات (١٨٣٥ الى ١٨٤٣) الّا انّ الحساد لم يزالوا يسعون بهِ واتهمتهُ الدولة العليّة بمناصرة شريف مكّة عبد المطلب عليها

فاضطرّ الى الخروج من مكة وتبعهُ تلامذتهُ ورحل الى طرابلس الغرب فسكن مدَّة في بنغازي ثم انتقل الى الجبل الاخضر في نواحي برقة سنة ١٢٥٥ وكان يفرض على طلَّابهِ ان يبتنوا الزوايا حيثما حلُّوا فكثرت هذه الرابط في جهات برقة واوجأة وواحات كفراء حتى بلغ عددها ٢٢ زاوية في آخر حياتهِ وكثر عدد تبعتهِ حتى بلغوا مئات الوف وكان لهُ فيهم نفوذ عظيم يقضي عليهم بشظف العيش والاصوام الطويلة والفرائض الشاقة فزادت بذلك سلطتهُ على اتباعهِ حتى خافت الحكومة التركيَّة من حركة يتولَّاها السنوسيُّون فتوغَّل الشيخ السنوسي في داخل البلاد واتَّخذ لهُ مركزًا في مدينة جغبوب قريباً من تخوم مصر وكان يبتاع العبيد فيعلّمهم طريقتهُ ويرسلهم الى السودان لينشروا هناك تعاليمهُ. ولمَّا مات الشيخ السنوسي سنة ١٨٥٩ خلفهُ ابنهُ السيد محمَّد المهدي وساعدهُ اخوهُ في نشر الطريقة السنوسيَّة حتى اتبعها عليه ملك ودَّاي واهل مملكتهِ وكان يؤدون الخراج للسيد محمَّد حتى صار اشبه بملك والسنوسيُّون اشبه بأمَّة مستقلة تخافها الدول المجاورة لها وقد توفي محمد المهدي سنة ١٩٠٢ وخلفهُ شقيقهُ محمَّد شريف الى اليوم

امَّا الزنوج في طرابلس الغرب فيجرون على عاداتهم الدينيَّة من اكرام الارواح وتعظيم القوَّات الطبيعة. وكثيرون منهم اسلموا

وقد سبق ذكر اليهود. امَّا النصرانيَّة فكانت قبل الاسلام ديانة تلك البلاد دخلت اليها منذ القرون الاولى للمسيح وكان لجهات برقة اساقفة يتبعون بطريرك الاسكندريَّة لكنَّ انحاء طرابلس كانت خاضعة لرئيس اساقفة قرطجنة

ولمَّا انتشر الاسلام انقطعت في جهات طرابلس سلسلة الاساقفة حتى دثرت بعد مدَّة آثار النصرانيَّة . وفي القرن الثالث عشر اجر الرهبان الفرنسيسيُّون الى طرابلس مع الرهبان الثلاثين فخدموا الاسرى الذين كان يستعبدهم قرصان البحر ففدوا منهم كثيرين وخدموا الباقين بكل غيرة حتى انهم كانوا يسكنون معهم في اللومان لا يفارقونهم ليلًا ولا نهارًا . ودامت هذه الحالة الحرجة الى ان ابرمت الدولة الفرنسويَّة العهود مع تركيَّا فتساهلت الدولة العليَّة وسمحت للآباء الفرنسيسيين ان يسكنوا في مدينة طرابلس الغرب فقدموا اليها سنة ١٦٣٠ وكانوا اوَّلًا من الايطاليين. وفي سنة ١٦٤٣ رُقيت الرسالة الى نيابة رسوليَّة وكان اوَّل نائب

فرنسويًّا اسمهُ الاب پسكال كانتو (Pascal Cantôt) يساعدهُ ثمانية من ابناء رهبانيَّته فكانوا يهتمُّون بالتجار القادمين للمتاجرة الى طرابلس وباسرى الحرب الذين لم يقلّ عددهم عن الف نفر وقد قاسى الرهبان مشقات كثيرة في عملهم ومات بعضهم شهداء ايمانهم اوَّلهم وهو الاب بطرس دي پنتي الايطالي مات حرقًا سنة ١٦٥٤ ولم يُسمح لهم ان يبنوا معبدًا الى اواخر عهد الملك لويس الرابع عشر

وقد تحسَّنت الامور في القرن التاسع عشر وصارت الرسالة في ايدي الرهبان الايطاليين والنائب الرسولي الحالي هو الاب غتراغا روسّتي (G. Rossetti) تعيَّن لهذه الوظيفة منذ ٢٣ سنة. وعدد الكاثوليك في مدينة طرابلس ٤,٤٠٠ لهم مدرسة ثانويَّة عامرة يديرها الاخوة المريُّون وطلبتها ٢٩٥. وللبنات مدرسة أخرى تحت ادارة راهبات مار يوسف عدد فتياتها ٣٥٠. وفي طرابلس ٣,٠٠٠ نفس من الروم اليونان

وللكاثوليك ايضاً مراكز اخرى لخدمة التجار منها مركز للرهبان في دُرْنة ولهم في بنغازي مدرستان للذكور والاناث. ولهم اربعة مراكز غيرها للرعايا وقد بنى المرسلون حديثاً مستشفًى كبيرًا يُقبل فيهِ المرضى من كل الاديان وفتحوا ستَّة مستوصفات تُعطى فيها الادوية مجَّاناً. ولهم ميتم كبير. وعدد المرسلين ٢٥ راهباً يضاف اليهم ٤٦ اخاً من المريين والرهبان المدرسين و١٧ راهبة

فكفى بهذا شاهدًا صادقًا على نجاح الكثلكة ورقي اعمالها الخيريَّة في طرابلس الغرب. فالله نسأل ان يأخذ بيد كلّ عملة الخير وينبي في افريقية اسباب العمران ويصون فيها حقوق الدولة العليَّة من كل طامع ينوي اغتصابها

الأخطَل ومَصْقَلة بن هُبَيْرة

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

مدح الاخطل مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيباني في قصيدةٍ (١ مطلعُها :

هل تعرفُ اليومَ من ماويَّةَ الطَّلَلا تحمَّلتْ إنهُ منهُ وما احتَملا .

وهذه القصيدة هي من فاخر شعر الاخطل . ومصقلة هذا من كبار الرجال واشهرهم كرماً وبأساً وكان عاملاً لعليّ على أَرْدَشِير خُرَه . وفي رأينا انهُ كان نصرانيًّا . فلما ارسل عليّ جيشاً الى بني ناجية تحت إمرة قيس بن مَعْقِل فقتل المقاتلة وسبى الذَّراري مرّ بهم على مصقلة فاستفاث بهِ النصارى فاشتراهم واعتقهم . فشكرهُ الاخطل واثنى على كرمهِ . هذا ما نرغب ان نوضحهُ بعد ان نبيّن علوّ كعب الاخطل في الشعر

الاخطل التغلبيّ ويكنى ابا مالك من شعراء الدولة الأُموية كان نصرانيًّا من اهل الحيرة متمسكاً بدينهِ . وكان يُقال لهُ ذو الصليب لانهُ كان يعلّق صليباً على صدرهِ . وكفى دليلاً على نصرانيّته انَّ اعداءه كانوا ينبذونهُ بابن النصرانيَّة وانهُ يذكر في شعرهِ الصليب كراية قومهِ في الحرب بين تغلب وقيس ومعاوية كشعيع لهم وشعارهم في القتال . قال (٢ :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا ومارَ سَرجيسَ وسمًّا ناقعا

وابصروا راياتنا لوامعا كالطير اذ تستوردُ الشرائعا

ولمَّا عرض عليهِ عبد الملك الاسلام اجابهُ الاخطل مفتخرًا بثباتهِ على دينهِ في ابيات تجدها في الديوان ختمها بهذا الشطر (٣ :

وأسجدُ عند مُنبلج الصباحِ

يعني انهُ يعبد الله ويسجد لعزته وقت ذبيحة القدّاس

---

١) تجد هذه القصيدة مع شروح ضافية توضح ما غمض من المعاني في (الصفحة ١٢٨—١٤٥) من ديوان الاخطل الذي عُنينا بنشره وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

٢) الديوان (ص ٢٠٩) ٣) الديوان (ص ١٥٤)

وكان الاخطل يقيم تارةً في دمشق دار الخلافة الاموية وحيناً في الجزيرة لانها منازل تغلب عند قومهِ بني مالك بن جُشَم. ومن ثمَّ تحلّى بصفات وكمالات البدو والحضر فاكتسب من عيشة البدو علم الأنواء والنجوم والسحاب والمطر واسرار الطبيعة ومعرفة النبات والاشجار وطبائع الحيوان فيذكر ذلك في شعرهِ ويصفهُ احسن وصف. وشعرهُ اشبه شيء بشعر الجاهليين في المتانة والجودة والخارٌ من السَّقَط. واقتبس من الحضَر ومعاشرة الامراء والملوك آداب الكرام وسموّ الافكار وشرف المعاني ورقة العواطف

ولم يلبث الاخطل ان نبغ في الشعر وطار لهُ الصيت الشهير حتى اتَّصل بالخلفاء فأجادوا معاملتهُ خصوصاً يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. فكان يدخل على الملوك في مجالسهم بدون اذن ويحظى عندهم حتى ان عبد الملك لفرط ما أُعجب بهِ امر مولًى لهُ ان يخرج بهِ على الناس وينادي: هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر بني امية هذا اشعر العرب. ومن ثمَّ لم يخشَ ان يكلّم الملوك بجرأة وسطوة فقال يوماً لعبد الملك (١

وَنَعوزُ اناساً عزَّةً يكرهونها ونحيَ كراماً او نموت فنُقتَلُ
وان تحسارا عنهم فما من حمالةٍ وان تُقلت الّا دمُ القوم اثقلُ
وان تعرضوا فينا لنا الحقَّ لم نكن عن الحقّ عمياناً بل الحقَّ نسألُ
وقد نتزل الثغرَ المخوف ويُتَّقى بنا البأسُ واليوم الاغرُّ المحجَّلُ

فايّ شاعر غير الاخطل امكنهُ ان يتهدَّد هكذا عبد الملك او ان يمنّ عليهِ بقولهِ (٢:

بني أُميَّةَ اني ناصح لكمُ فلا يبيتنَّ فيكم آمناً زفرُ
وقد نُصرتَ اميرَ المؤمنين بنا لمّا اتاك ببطن الغوطةِ الخبرُ

ومحلّ الاخطل في الشعر اكبر من ان يحتاج الى وصف. فتارة يتدفق كلامه ويجري كنهرٍ حافل بالمياه كما وصف هو الفرات اذ قال (٣:

وما يُزبدُ الأطوادِ من دون عانةٍ يشقُّ جبال القوز ذو حَدَبٍ غَمرِ

---

١) الديوان (ص ١١) ٢) الديوان (ص ١٠٥) ٣) الديوان (ص ٢١٤)

متى يَطَّرد يَسق السَّوادَ فضولُهُ وفي كل مُستَنٍ جداولُ تجري

واخرى يدوي دويّ الرعد القاصف وينقضّ كالصواعق . وطوراً يضيء ويلمع كالبرق في الدجى . وحيناً يتزين بالبهجة كروضة خضراء ازهر نَوْرُها (١) :

نفت الصبا عنها الجهامَ واشرقت للشمس غبَّ دجنّة وطلالِ
بيج الربيع لها فجاد نباتها وغتْ بأسحَمَ وابلٍ هطّالِ

فيجيد النسيب والزُّهد والوصف والمديح والفخر والهجاء في عفاف . فقد اجاد في النسيب اذ قال (٢) :

رأيتُ لها وجهاً اغرَّ فراعني وطَرْفاً غضيضاً مثلهُ اورثَ الخَبلا
وخدّاً أسيلاً غيرَ زَغْبٍ مَقـذُّهُ بسُذْصِقٍ في الجيد قد فُتلتْ فَتْلا
فتلك التي لم تُخطِ قلبي بسهمها وما وترَتْ قوساً ولا رصفت نَبْلا
غداةَ بدتْ غرّاء غير قصيرةٍ تُذرّي على اكتنينِ ذا عُذَرٍ جَثْلا

وتزهّد فأحسن (٣) :

اعاذلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ اذا ما دعا يوماً اجابت له الرُّسلا
ذريني فلا مالي يردُّ منيَّتي وما ابنُ أرى حيّاً على نفسه قُفلا
وليس بخيلُ النفس بالمال خالداً ولا من جوادٍ فاعلمي ميّتٍ هزلا
ألا ربَّ من يخشى نوائبَ قومهِ وريبُ المنايا سابقات بهِ الفعلا
ويا ربَّ غادٍ وهو يُرجى إيابهُ وسوف يلاقي دون أوْبتهِ شغلا

ووصف فصوّر للمناظر الثور الوحشي في ليلة ماطرة ثم الصياد يُشلي كلابه عليه عند مطلع الشمس قال (٤) :

فما بهِ غير مَوْشيٍّ اكارعهُ اذا احسَّ بشخصٍ نابئٍ مثلا
يرعى بخَيْنَفَ احياناً وتُضمرهُ ارضٌ خلاء وماء سائلٌ غلَلا
شهريْ جُمادى فلمّا كان في رَجَبٍ أنَتِ الارضُ مما حُبِلَت حَبَلا
كأنَّ عطّارةً باتت تُطيف بهِ حتى تسرولَ ماء الوَرْس وانتعلا

---

١) الديوان (٢٢٢) ٢) الديوان (١٧٨)
٣) الديوان (١٧٧) ٤) الديوان في القصيدة التي مدح بها معقلة (١٣٨-١٤١)

من خضب نَوْر خُزامى قد اطاع لهُ ... اصاب بالقفر من وسميهِ خضلا
حتى اذا الليل كفَّ الطرف ألبسهُ ... غيثٌ اذا ما مَرَتْهُ ريحهُ سَحَلا
داني الرِّباب اذ ارتجَّت حواملهُ ... بالماء سدَّ فُروجَ الارض واحتفلا
فبات مُكتلئاً للبَرْقِ يَرقُبهُ ... كليلةِ الوَصبِ ما أغفى وما عَقَلا
فبات في حِقْف أرطاةٍ يلوذ بها ... اذا احسَّ بسيلٍ تحتهُ انتقلا
كأنهُ ساجدٌ من نَضْخ ديمتهِ ... مُسبِّحٌ قام نصف الليل فابتهلا
يَنفي التراب بروقيهِ وكلكلهِ ... كما استمرَّ رئيس المِقنب النَّفَلا
كأنما القطرُ مرجانٌ يساقطهُ ... اذا علا الرَّوقَ والمتنَيْن والكفَلا
حتى اذا الشمس وافتهُ بمطلعها ... صَحَّهُ ضامرٌ غرثانُ قد نَحَلا
طاوٍ ازلُّ كسرحانِ الفلاة اذا ... لم تُؤنِس الوحشُ منهُ نَبأةً خَتَلا
يُشلي سَلوقيةً عُضفاً اذا اندفعت ... خافت جديلةَ في الآثار او ثُعَلا
مُكلِّبينَ اذا اصطادوا كانهمُ ... يسقونها بدماء الأُبدِ المَثلا
فانصاعَ كالكوكب الدُّرِّيِّ جرَّدهُ ... غيثٌ تقشَّعَ عنهُ طال ما هطلا
حتى اذا قلت ناتهُ سوابقها ... كرَّ عليها وقد امهلنهُ مَهَلا
فظلَّ يطعنها شزراً بمَرْوتهِ ... اذا اصابَ بروقٍ ضارياً قتلا
كأنَّهنَّ وقد سُربلنَ من عَلَقٍ ... يَغشَيْنَ موقدَ نار تقذفُ الشُّعَلا
اذا اتاهنَّ مكلومٌ عَكفنَ بهِ ... عكفَ الفوارسِ هابوا الدارعَ البَطلا
حتى تناهينَ عنهُ سامياً حَرِجاً ... وما هَدَى هَدْيَ مهزومٍ وما نكلا

ومدح فرقع . مثال ذلك مديح همام بن مُطرِّف التغلبي (١ :

وكرَّارٍ خلفَ المُرْهَفين جوادهِ ... حفاظاً اذا لم يحمِ أُنثى حليلُها
ثنى مُهرَهُ والخيلُ رَهْوٌ كأنها ... قِداحٌ على كفَّي مُفيضٍ يُجيلُها
يُهينُ وراءَ الحيِّ نفساً كريمةً ... لِكتبةِ موتٍ ليس يُودى قتيلها
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ ... وانَّ منايا الناس يسعى دليلها
فان عاش همَّامٌ لنا فهو رحمة ... من الله لم تُنفَس علينا فُضولها

١) الديوان (٢٤٥ و٢٤٦) راجع ايضاً (١٠١ — ١٠٥)

وان مات لم تستبدل الارضُ مثلَهُ لأَخذِ نصيبٍ او لامرٍ يَعولها

وافتخر فكرُم وتسامى اذ قال (١ :

واني لِمن علياء تغلب وائلٍ لَأَطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا

انا الجُشَميُّ الرحبُ في الحيِّ منزلاً اذا احتلَّ مَضهودٌ بضنيةِ هَزْلا

وقد علمت أبناء تغلبَ انني نُضارٌ ولم أنبتْ بقَرْقرةٍ أثلا

وأنيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارها ولا مُفلتي هاجٍ هجا تَغلبياً بُطلا

وهجا قاضٍ ووضع من ذلك قولهُ في مقتل عمير بن الحباب (٢

أمعشرَ قيسٍ لم يُمتِّع اخوكمُ عُميرٌ بأكفانٍ ولا بطَهورِ

تدلُّ عليهِ الضبعَ ريحٌ تضوَّعت بلا نفحِ كافورٍ ولا بعَبيرِ

وقال ايضاً فيهِ (٣ :

يعرّفونك رأسَ ابن الحُباب وقد أضحى وللسيفِ في خيشومهِ أثرُ

لا يسمعُ الصوتَ مُستكّاً مسامعهُ وليس ينطق حتى ينطق الحجرُ

أمستِ الى جانب الحشّاك جيفتهُ وراسهُ دونهُ اليحسومُ والصُّرَرُ

فلا عجب اذاً إن اجمع كثير من الادباء على ايثار شعر الاخطل وتفضيلهِ على جرير والفرزدق. فقد جعل العلماء هؤلاء الشعراء الثلاثة طبقة واحدة واوّل طبقات الاسلام. ولكلّ واحد منهم طائفة تفضّلهُ. اخبر ابو عبيدة قال: جاء رجل الى يونس فقال لهُ: من اشعر الثلاثة. قال: الاخطل. قلنا: مَن الثلاثة. قال: اي ثلاثة ذكروا فهو اشعرهم. وكان ابو عبيدة يقول: شعراء الاسلام الاخطل ثم جرير ثم الفرزدق والاخطل اشبه بالجاهليّة واشدّهم أسرَ شعرٍ واقلّهم سقطاً! وقال مَسلمة بن عبد الملك: انا اعلم العرب بثلاثة يعني الاخطل والفرزدق وجريرًا اما احدهم فيجيء سابقاً ابداً يعني الاخطل واما الآخر فيجيء مُصلّياً يعني الفرزدق واما الآخر فيجيء سابقاً مرّة وسُكَيتاً (٤ مرة وهو جرير. وكان ابو عمرو بن العلاء يقول: لو ادرك الاخطلَ يوماً

١) الديوان (١٧٨) ٢) الديوان (٢٥) راجع ايضاً (١٢٠-١٢١)

٣) الديوان (١٠٦)

٤) السكيت ما يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل ويقال للثاني المُصلّي لانهُ يكون عند صلا الاوّل

واحدًا من الجاهليَّة ما فضَّلت عليهِ احدًا. وسئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : ما تسألوني عن رجل حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيَّة. وسئل ايضاً عن الشعراء فقال : اشعر العرب شيخا وائل الاعشى في الجاهليَّة وهو صنَّاجة العرب والاخطل في الاسلام

ولمَّا ان قضى الاخطل للفرزدق على جرير اضطرمت بينهما نار العداوة واستطارا في الهجاء. على ان جريرًا كان يعرف للاخطل حقَّهُ ويقدِّرهُ قدرهُ. سأل عكرمة بن جرير اباه عن الاخطل فاجابهُ : يجيد مدح الملوك ويصيب نعت الخمر. وذكر ابو عمرو ان جريرًا سُئل اي الثلاثة اشعر فقال: اما الفرزدق فتكلَّف مني ما لا يطيق واما الاخطل فاشدُّنا اجتراء وارمانا للقرائص. واخبر نوح بن جرير قال: بينا انا آكل مع ابي يومًا وفي فيه لقمة وفي يدهِ اخرى فقلت: يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل. فجرض باللقمة التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال: يا بنيَّ لقد سررتني وسؤتني فاما سرورك اياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ واما ما سؤتني بهِ فلذكرك رجلًا قد مات يا بنيَّ ادركتُ الاخطل ولهُ ناب واحد ولو ادركتهُ ولهُ ناب آخر لأكلني بهِ ولكني اعانتني عليهِ خصلتان كبر سنّ وخبث دين وما رأيتهُ قطّ الَّا خشيت ان يبتلعني

وكان الفرزدق ايضاً يعرف قدر الاخطل ويقدِّمهُ في المديح خاصة. يروى ان الفرزدق دخل الكوفة فلقيهُ ضوء بن جُلاح فقال لهُ : مَن امدحُ اهل الاسلام. فقال لهُ : وما تريد الى ذلك قال تمارينا فيه قال : الاخطل امدح العرب. وقال عبد الملك للفرزدق : من اشعر الناس في الاسلام قال كفاك بابن النصرانيَّة اذا مدح

ولا تنحصر مزيَّة شعر الاخطل في جودة الشعر والفرائد اللغوية والادبيَّة التي تُجنى منهُ . انَّهُ لجزيل الفائدة ايضاً لمعرفة التاريخ اذ يشير الى ايام العرب واخبار القبائل والى وقائع وحوادث عديدة تمَّت في دولة الامويين. فكأنَّهُ تاريخ لدولة بني اميَّة. هذا فضلًا عمَّا يفيد لمعرفة البلدان لانَّهُ ورد فيهِ ذكر مئات من اعلام الامكنة لاسيما من انحاء قبائل العرب. وفي هذا القدر كفاية لمعرفة قدر الاخطل واهميَّة شعرهِ

وها نحن نثبت جزءًا من القصيدة التي مدح بها الاخطل مَصْقَلة بن هُبيرة البكريّ الشيبانيّ . ولسنا نقصد بذلك ان نبين للقرَّاء افخر ما اتى بهِ الاخطل لانَّا نجد في ديوانهِ قصائد تفضل هذه كالقصيدة التي مدح بها عبد الملك « خفَّ القطين

فراجعوا منك او بكروا » (الصفحة ٩٨ — ١١٢ من الديوان) فانها من فاخر شعر الاخطل ومقدّمه . والقصيدة « تغيّر الرسم من سلمى بأحفار » (الصفحة ١١٢—١٢٠ من الديوان) فانها ممدودة من المجمهرات وهي مثبتة في جمهرة اشعار العرب . فقصدُنا اذًا هو ان نعرّف السبب الذي من اجلهِ مدح الاخطل مصقلة بن هُبيرة ومن ثمّ يمكننا ان نعيّن الزمان الذي عاش فيهِ الاخطل ومدة حياتهِ بالتقريب

فالابيات التي نظمها الاخطل في مديح مصقلة هي هذه :

دعِ المُغيَّرَ لا تسأل بمَعرفهِ ... واسأل بمصقلةَ البكريِّ ما فعلا
بتلفٍ ومُفيدٍ لا يمُنُّ ولا ... تُهلِكهُ النفسُ فيما فاتهُ عَذَلا
جَزْلُ العطاء واقرامٌ اذا نُزلوا ... يُعطون نَزْرًا كما تستوكفُ الوَشَلا
وفارسٍ غيرِ وقّافٍ برايتهِ ... يومَ النكيهة حتى يُعمل الأسلا
ضَخمٍ تُعلَّق أشناقُ الدّيات بهِ ... اذا المئونَ أُمِرَّتْ فوقهُ حَملا
ولو تكلّفها رِخْوٌ مَفاصلهُ ... او ضيّقُ الباعِ عن أمثالها سعلا
وقد فككتَ عن الاسرى وثاقهمُ ... وليس يرجونَ تلجاءً ولا دَحلا
وقد تنفّذتَهم من قعر مُظلمةٍ ... اذا الجبانُ رأى امثالها زَحلا
فهم فِداؤك اذ يكون كلهمُ ... ولا يَرَونَ لهم جاهًا ولا نفلا
ما في مَعدٍّ فتًى يُغني رِباعتهُ ... اذا يهُمُّ بامرٍ صالحٍ عملا
الواهبُ المائةَ الجُرجورَ سائقها ... تَزو يرابيع متنَيهِ اذا انتقلا
انَّ رَبيعةَ لن تَنفكَّ صالحةً ... ما أخّر الله عن حوبانك الأجلا
أغرَّ لا يحسب الدنيا تخلّدهُ ... ولا يقول لشيءٍ فاتَ ما فعلا

امّا السبب الذي حدا بالاخطل الى ان يمدح مصقلة فاننا نجدهُ في تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري . قال (في الصفحة ٣٤٣٤ و ٣٤٣٥ من الجزء الاوّل) ما نصُّهُ :

« حدّثني ابو الطفيل قال : كنت في الجيش الذي بعثهم عليّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال : فاتيناهم فوجدناهم على ثلث فِرَق فقال امرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحن قوم نصارى لم نرَ دينًا افضل من ديننا فثبتنا عليهِ . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الاخرى : ما انتم . قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلمنا فثبتنا على اسلامنا . فقال : لهم اعتزلوا . ثم قال للفرقة الاخرى الثالثة : ما انتم . قالوا : نحن قوم كنّا نصارى فاسلمنا فلم نرَ دينًا افضل من ديننا الاول . فقال

لهم: أسلموا. فابوا. فقال لاصحابه: اذا سمعتُ راعي ثلاثاً فشدّوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية. فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية. فقيل لعليّ: ألا تأخذ الذرّية. قال: لا فلم يعرض لهم»

وقال (في الصفحة ٣٤٣٨-٣٤٤٢):

« وبعث مصقل بن قيس الجبل الى رحالهم فسبى من ادرك منهم فسبى رجالاً كثيراً ونساء وصبياناً ثم نظر فيهم فاما من كان مسلماً فخلّاه واخذ بيته وترك لهُ عياله واما من كان ارتدّ فعرض عليهم الاسلام فرجعوا وخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم الّا شيخاً منهم نصرانياً يقال لهُ الرُّماحس بن منصور قال: والله ما زلّت منذ عقلتُ الّا في خروجي من ديني دينَ الصدق الى دينكم . . . لا والله لا ادع ديني ولا اقرب دينكم ما حييت. فقدّمهُ فضرب عنقهُ

« وجمع مصقل الناس فقال: اذكروا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة: فاخذ من المسلمين عقالين وعمد الى النصارى وعيالهم فاحتسابهم مثيلاً جمع واقبل المسلمون معهم يشيّعونهم فامر مصقل بردّهم فلمّا انصرفوا تصافحوا فبكوا وبكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض . . . وكتب مصقل بن قيس الى عليّ: . . . واما من ارتدّ فانا عرضنا عليهِ الرجوع الى الاسلام والّا فقتلناه واما النصارى فانا سبيناهم وقد اقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من اهل الذمة لكيلا يخلعوا الجزية ولكيلا يجترئوا على قتال اهل القبلة . . .

« ثم اقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامل عليّ على أردَشير خُرّه وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا ابا الفضل يا حامي الرجال وفكّاك العناة امننّا علينا فاشترانا واعتقنا. فقال مصقلة: اقسم بالله لأتصدقنّ عليهم . . .

« ثم ان مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذُّهلي الى مَسْقِل بن قيس فقال لهُ: بعني بني ناجية. فقال: نعم ابيعكهم بألف ألف ودفعهم اليهِ وقال لهُ: عجّل بالمال الى امير المؤمنين. فقال: انا باعث الآن بصدرٍ ثم ابعثُ بصدر آخر كذلك حتى لا يبقى منهُ شيء ان شاء الله تعالى . . . ثم اقبل حتى نزل البصرة فمكث بها اياماً ثم ان ابن عبّاس سألهُ المال وكان عمّال البصرة يحملون من كُوَر البصرة الى ابن عبّاس ويكون ابن عباس هو الذي يبعث بهِ الى عليّ. فقال لهُ: نعم انظرني اياماً. ثم سألهُ المال فادّى اليهِ مائتي الف. ثم انهُ عجز فلم يقدر عليهِ . . .

« وحدّث ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة الى رحلهِ فقدّم عَشاءهُ فطعمنا منهُ ثم قال: والله ان امير المؤمنين يسألني هذا المال ولا اقدر عليهِ فقلت: والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال. فقال: والله ما كنتُ لاحملها قومي ولا اطلب فيها الى احد . . . فلا والله ما مكث الّا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية . . .

« وكان اخوه نُعَيم بن هُبَيرة شيعياً ولعليّ مناصحاً فكتب اليهِ مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال لهُ حُلوان: اما بعدُ فاني كلّمتُ معاوية فيك فوعدك الامارة ومنّاك الكرامة فاقبل اليّ ساعة يلقاك رسولي ان شاء الله والسلام. فاخذهُ مالك بن كعب الارحبي وسرح بهِ الى عليّ فاخذ كتابه فقرأه فقطع يد النصراني فمات . . . ولم يلبث التنوخيون الّا قليلاً

حتى بلغهم هلاك صاحبهم فاتوا معقلة فقالوا انك بعثت صاحبنا فاهلكته فاما ان تحييهُ واما ان تديَهُ. فقال: اما ان احيهُ فلا استطيع ولكني سأديه. فوداه»

هذا ما جاء في تاريخ الطبريّ اوردنا منهُ ما يبيّن ان الاخطل انما مدح معقلة بن هبيرة لانهُ افتدى اساري النصارى

ومما اوردناه يظهر ان معقلة كان نصرانياً. هو رأينا ولا محققهُ. فان ظروف الخبر كلها تشير الى ذلك. منها التجاء النصارى الى معقلة واستغاثتهم بهِ وكفالهُ بفدائهم وحنانهُ عليهم وتحمّلهُ حمالات باهظة رغبةً في فكّ اسرهم. ومنها تركهُ علياً ومجيئهُ الى معاوية الذي كان اوفر حلماً للنصارى ولدينهم فكان يأتمنهم ويستخدمهم. ومنها بعث معقلة الى اخيهِ نُعَيم رسولاً نصرانياً من بني تغلب. ومنها إلحاح التغلبيين على معقلة في فداء الرسول التغلبيّ الذي بعث بهِ الى اخيهِ فقطعت يداه ومات. فانَّ مثل هذا الالحاح لا يصدر الّا من اناس لهم دالّة على رجل من دينهم خصوصاً بعد ما ابدى معقلة من الكرم نحو النصارى في فكّ اساراهم. ولا مانع من ان اخا معقلة نعيم بن هبيرة كان شيعياً مناصحاً لعليّ فانَّ لفظة الشيعيّ في هذه العبارة تعني تشيّعهُ لحزب عليّ ومخالفتهُ لحزب معاوية. وهذا هو معنى الكلمة الاصلي. وعلى افتراض ان نعيماً كان مسلماً فهذا ليس بسبب ليكون اخوه معقلة متابعاً لهُ في الدين. يؤيد قولنا هذا ما كان من الفرق في الدين بين بني ناجية

ويحسن بنا الآن ان نخطو خطوة اخرى لنعرف متى عاش الاخطل اي متى كان مولده ومتى كانت وفاتهُ فنعلم من ثم مدّة حياتهِ. فنقول ان بَعْث معقل بن قيس الى بني ناجية كان حسب تاريخ الطبريّ في السنة ٣٨ للهجرة ونقدّر عمر الاخطل اذ ذاك ثلاثين سنة على الاقلّ لاننا لا نظنّ ان الاخطل نظم قبل هذا العمر قصيدة يعدّها العلماء والادباء من فاخر شعرهِ ومن عيون القصائد. ولا يمكن الافتراض ان الاخطل ابطأ وتأخر عن مدح رجل اظهر من المروءة والكرم نحو النصارى ما لا غاية بعدهُ. فيكون اذاً مولد الاخطل سنة ٨ للهجرة. وكان بدء هذه السنة يوم الاثنين اوّل ايار من السنة المسيحيّة ٦٢٩. ولكي نعرف زمان وفاتهِ يكفينا ان نعرف انهُ مدح الوليد بن عبد الملك بخمس قصائد (١ فان لم تكن جميعها قلا

---

١) راجع ديوان الاخطل الصفحات (١٨٣ و٢٠٣ و٢١٦ و٢٣٣ و٢٦٤)

ريب في ان ثلاثاً منها نظمت في مديح الوليد اذ كان خليفة. قال (١):

ان الوليد امين الله انقذني وكان حصناً الى منجاته هربي
خليفة الله يُستسقى بسنَّته الغيث من عند مُولي العلم مُنتخبِ

ويخبرنا التاريخ ان الوليد فتح في خلافته فتوحاً عظاماً منها الاندلس وكاشغر والهند وغزا الروم غزوات عديدة. فالى ذلك يشير الاخطل اذ قال (٢):

بها ترمي اعادِيها قُريش اذا ما نابها امرٌ كبيرُ
لهُ يومان يوم قِراع كبش ويوم يستظلّ بتبٍ معلّرُ
قتلتَ الروم حتى شذّ منها عصائب ما تحرّزها القصورُ

وقال ايضاً (٣):

وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كان قبلهُ بحيث انتهت آثاره ومحاربُهْ
وتُضحي جبالُ الروم غُبْرًا بفجاجها بما اشملت غاراتهُ ومقانبهْ

ومعلوم ان الوليد بن عبد الملك بويع سنة ٨٦ هجرية وتوفي سنة ٩٦ هـ. وكان بدؤها يوم الاحد ١٦ ايلول من السنة الميلاديَّة ٧١٤ فاذا قلنا ان الاخطل عاش الى السنة الخامسة على الاقلّ من خلافة الوليد كنّا غير بعيدين عن الحقّ واذا عيّنا لوفاته السنة المسيحيَّة ٧١٠ كما ذكرنا في ترجمة حياته في الديوان كنا قريبين من الصواب وذلك لسببين الاوّل انهُ كان للشعراء في كل سنة موسم يقصدون فيهِ الخلفاء بالمديح. قال الفرزدق:

ستاتيك مني كلَّ عام قصيدة محبَّرة توفيكها كلَّ مَوسمِ

وقد سبق لنا القول ان الاخطل حبَّر خمس قصائد في مدح الوليد. والسبب الثاني هو انهُ لا يُصدَّق ان الاخطل نظم في السنة الاخيرة او السنتين الاخيرتين من عمرهِ القصائد الفخيمة الرنَّانة التي يُقصد بها الملوك. ومن ثم نستنتج ان الاخطل عمّر نحوًا من ٨١ سنة. يؤيد قولنا هذا ما كتبهُ الرواة من ان الاخطل «عمّر عمرًا طويلًا» حتى قيل عنهُ انهُ «شيخ قد تحطَّم» وانهُ «دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنَّ وتفد اكثر عمرهِ» ووصف بأنهُ «رجل ابيض الرأس واللحية»

١) الديوان ١٨٥ ٢) الديوان ٢٠٤ ٣) الديوان ٢١٦

الّا انّ شوكته في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادّة نافذة يؤيد ذلك القصائد الدريّة التي نظم جواهرها وقد ناهز الثانين من عمره

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سمى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم عند العرب (تابع)

واماً المشهورون باحكام بعض اجزاء الفلسفة فكثير. فمنهم اشتهر منهم عندنا بعلم حركات النجوم وهيئة العالم سوى من تقدّم ذكرهُ احمد بن عبدالله البغدادي المعروف بحبش (١ وكان في زمان المأمون والمعتصم ولهُ ثلثة ازياج اوّلها المؤلف على مذهب السند هند خالف فيهِ الفزاري والخوارزمي في عامّة الاعمال واستعمالهِ لحركة إقبال فلك البروج وادبارهِ على رأي تاون (٢ الاسكندراني ليصلح (٣ لهُ بهما مواضع الكواكب في الطول . وكان تأليفهُ لهذا الزيج [اول مرّة في أيّام (٤ كان حساب السند هند. والثاني المعروف بالممتحن وهو اشهر ما لهُ ألّفهُ بعد ان رجع الى معاناة الرصد وضمّنهُ حركات الكواكب على ما يوجبهُ الامتحان في زمانهِ. والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه ولهُ كتاب حسن في العمل بالاسطرلاب (٥

ومنهم احمد بن محمد بن كثير الفرغاني (٦ احد منجمي المأمون وصاحب

---

١) في الاصل: بحنش وهو غلط. وقول المؤلف عنهُ منقول في كتاب الحكماء لابن القفطي (ص ١٧٠) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٧٥) ٢) حك: ثاون

٣) حك: ليصح ٤) حك: في اوّل امره ايّام

٥) وزاد حك: وبلغ من عمره نحو مائة سنة ٦) نقلهُ حك (في الصفحة ٧٨) - راجع ايضاً الفهرست (ص ٢٧٩) وقد سمّاهُ محمّد ابن كثير

المدخل الى علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وهو كتاب لطيف الجرم عظيم الفائدة تضمن (١ ثلثين باباً احتوت على جوامع كتاب المجسطي (٢ باعذب لفظ وابين عبارة

ومنهم موسى بن شاكر (٣ وبنوه محمد واحمد والحسين (٤ كانوا جميعاً المتقدّمين في علم الفلسفة وهيئة الافلاك (50) — وحركات النجوم ولهم عناية بارصاد الكواكب واهتبال (٥ بقياسها . وكان موسى بن شاكر منهم مشهوراً في منجمي المأمون وكان بنوه ابصر الناس بالهندسة وعلم الحيَل ولهم في ذلك تآليف [عجيبة تُعرف بحيل بنى موسي وهي (٦ مشهورة عند الناس

ومنهم عمر بن الفَرُخان الطبري (٧ احد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم حركات النجوم واحكامها . وذكر ابو معشر جعفر بن محمد البلخي في كتاب المذاكرات لشاد ابن بحر (٨ انَّ ذا الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون استدعاه من بلده ووصلهُ بالمأمون فترجم كتباً كثيرة وحكم باحكام موجودة الى اليوم في خزائن السلطان والف لهُ كتباً كثيرة في النجوم وغيرها من فنون الفلسفة والله تعالى اعلم

ومنهم [جعفر بن محمد بن سنان بن جابر الحرانيّ المعروف بالنبهانيّ (٩ احد المهرة (١٠ برصد الكواكب والمتقدّمين في علم الفلسفة (١١ وهيئة الافلاك وحساب النجوم وصناعة الاحكام ولهُ زيج جليل ضمّنهُ ارصادًا للنيّرين واصلاحاً لحركاتها المثبتة في كتاب بطليموس المعروف بكتاب المجسطيّ وذكر فيهِ حركات الخمسة

---

١) حك : مضمَّن ٢) حك : بطليموس

٣) نقل حكّ هذا الفصل (ص ٢١٥) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٧١)

٤) حك : واحمد اخوهُ والحسن اخوهما

٥) كذا في الاصل ولعلَّ الصواب : احتيال

٦) سقطت هذه العبارة من الاصل فزدناها حك (ص ٢١٥)

٧) اطلب هذا الفصل في تاريخ الحكماء (ص ٢٤١)

٨) حك : لشاذان . وروى في الفهرست (٢ : ٢٤٥) ابن بحران بالنلط

٩) قد صحّف الناسخ هذا الاسم والصواب انَّ اسمهُ ابو جعفر محمَّد بن سنان الحرَّاني المعروف بالبتَّاني . ويروى ابو عبد الله محمَّد بن جابر بن سنان وهذه الترجمة نقلها ابن القفطي (حك ٢٨٠) راجع ايضاً الفهرست (ص ٢٧٦) وتاريخ ابن العبري (٢٧٤)

١٠) حك : المشهورين ١١) حك : الهندسة

المتحيّة على حسب ما امكنهُ من اصلاحها وسائر ما يحتاج اليهِ من حساب الفلك. وكان بعض ارصادهِ التي سمّاها في زيجهِ في سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة (٨٨٢ م) وذلك في السنة الثامنة من خلافة المعتصم ولا اعلم احدًا (١ في الاسلام بلغ مبلغهُ في تصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها. ولهُ بعد ذلك عناية باحكام النجوم أدّتهُ الى التأليف في ذلك فمن تأليفهِ فيها كتاب في شرح المقالات الاربع لبطليموس

ومنهم الفضل بن حاتم النَّيريزيّ (٢ وكان متقدّماً في علم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله تآليف مشهورة منها كتابهُ الذي شرح فيهِ كتاب اوقليدس وزيج كبير على مذهب السند هند

ومنهم الحسن بن مصباح (٣ لهُ زيج اثبت فيهِ اوساط (51) الكواكب على مذهب ما يؤدي اليهِ الرصد في زمانهِ. ومنهم محمد بن اسمعيل النَّوخي (٤ المنجم الذي دخل الى الهند وصدر عنها بغرائب من علم النجوم منها حركات (٥ الاقبال والادبار. ومنهم علي بن ماجود (٦ احد العلماء بحركات الكواكب والمعانين لارصادها

ومنهم ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي (٧ عالم اهل الاسلام باحكام النجوم وصاحب التآليف الشريفة والمصنّفات المفيدة في صناعة الاحكام وعلم التعديل وكان مع ذلك اعلم الناس بسِيَر الفرس واخبار سائر العجم (٨ فمن كتبهِ

---

١) حك: ولا يُعلَم احد

٢) منقول بحرفهِ في تاريخ ابن القفطي (ص ٣٥٤). اطلب الفهرست لابن النديم (ص ٢٧٦)

٣) ويروى: ابن الصبّاح في الفهرست (ص ٢٧٦) وترجمتهُ نقلها ابن القفطي (ص ١٦٣) عن صاعد وروايتهُ هناك اصح واضبط فقال: «لهُ زيج اثبت فيهِ اوساط الكواكب وتعاديلها على مذهب بطليموس وميل الشمس على ما يؤدي اليهِ الرصد في زمانهِ»

٤) ابن القفطي (ص ٢٨١) ٥) حك: حركة

٦) والصواب كما روى في الفهرست (٢٨٠) وفي تاريخ الحكماء (٢٣٠): عبد الله بن اماجور

٧) اطلب ما نقلهُ ابن القفطي من هذا الفصل في تاريخهِ (ص ١٥٣) وراجع الفهرست (ص ٢٢٧) وتاريخ ابن العبري (٢٥٨) ٨) حك: سائر الامم

في صناعة الاحكام كتاب الطبائع وكتاب الالوف وكتاب المدخل الكبير وكتاب القرانات وكتاب الدول والملل وكتاب الملاحم وكتاب الاقاليم وكتاب الفيلاج والكدجدا (١ وكتاب الثالات (٢ في المواليد وكتاب النكت وكتاب تحاويل سني المواليد وغير ذلك . ومن كتبه في حركات النجوم زيجهُ الكبير وهو كثير الفائدة جامع لاكثر علم الفلك بالقول المطلق المجرَّد من البرهان وكتاب الزيج الصغير المعروف بزيج (٣ القرانات تضمّن (٤ معرفة اوساط الكواكب لاوقات اقتران زحل والمشتريّ مذ عهد الطوفان . وكان ابو معشر مدمناً على شرب الخمر مشتهراً بمعاقرتها وكان يعتريه صرع عند الامتلاآت القمريّة وكان معاصراً لابي جعفر بن سنان البتّاني

ومنهم الحسين بن الخصيب (٥ احد المتقدمين في اعلام الاحكام وفي علم التعديل ولهُ زيج مشهور وكتاب حسن في المواليد . ومنهم احمد بن يوسف (٦ صاحب الكتاب المؤلف في النسبة والتناسب وصاحب شرح الثمرة لبطليموس . ومنهم احمد بن المثنى بن عبد الكريم صاحب تعليل زيج الخوارزمي . ومنهم محمد (٧ ابن محمد ابن خالد بن عبد الملك المُورِّيّ لهُ زيج مختصر على المذهب المستحن الذي ظهر على يدي جده خالد بن عبد الملك المُورِّيّ ويحيى بن ابي منصور (52) وسيد بن علي (٨ والعبّاس بن سعيد الجوهري المتقدّم ذكرهم

ومنهم الحسين بن حميد (٩ المعروف بابن الآدمي صاحب الزيج الكبير الذي اكملهُ بعد وفاته تلميذهُ القاسم بن محمد بن هشام الدانني المعروف بالعلويّ وسماه

---

١) حك : كتاب الميلاج والكذخداه ٢) حك : المقالات
٣) حك : بالزيج (كذا) ٤) حك : يتضمّن
٥) اطلب تاريخ الحكماء لابن القفطي (ص ١٦٥) والفهرست (٢٧٦)
٦) اطلب حك (ص ٧٨)
٧) كذا في الاصل . وفي تاريخ الحكماء (ص ٣٤٣) حيث روى كلام مؤلفنا انَّ اسمهُ عمر
٨) حك (ص ٢١٩) : سند بن علي
٩) روى هذه الترجمة بحرفها ابن القفطي (ص ٣٨٢) ودعاهُ محمد بن الحسين . راجع الفهرست (٢٨٠)

كتاب نظم العقد وشهرهُ في سنة ثمان وثلثين وثلثمائة (١ وهو كتاب جامع لصناعة التعديل مشتمل على اصول هيئة الافلاك وحساب حركات النجوم على مذهب السند هند وذكر فيهِ من حركة اقبال الفلك وإدباره ما لم يذكرهُ احد قبلهُ وكنَّا نسمع (٢ قبل وصول هذا الكتاب الينا من هذه الحركة ما لا يُعقل ولا يُضم الى قانون حتى وقع هذا الكتاب الينا وفهمنا صورة هذه الحركة وكان ذلك [صبيًا (٣ الى التمرُّس بها (٤ زماناً حتى ظهر الينا منها ما لا نظنّ (٥ ظهر الى غيرنا (٦ وتعقَّبنا فيها اشياء قد بيَّنتها في كتابي المؤلف في اصلاح حركات النجوم (٧

ومنهم ابو محمد الهمداني المعروف بابن ذي الدُّمَيْنة احد اشراف العرب وهو الحسين (٨ بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بابن الدمينة ابن عمرو بن الحرث بن منقذ بن الوليد بن الازهر بن عمر بن طارق بن اهتم بن قيس ابن ربيعة بن عهد بن عِليان بن مرَّة وهو أرحب بن الدُّعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن فيكل (بكيل) بن جُشم بن حاشد بن نوف بن هَمدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشخب (يشجب) بن يعرب بن قحطان. استخرجتُ نسبتهُ من كتابهِ المعروف بالاكليل المؤلف في انساب حمير وايام ملوكها وهو كتاب عظيم الفائدة يشتمل على عشرة فنون (٩ : الاوَّل منها في اختصار المبتدأ واصول انساب العرب والعجم وانساب ولد حمير. والفنّ الثاني في نسب ولد الهميسع بن حمير . والفنّ الثالث في فضائل (53) قحطان. والفنّ الرابع في السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان الى

---

١) حك : ثمان وثلثمائة
٢) حك : وقد كان يُسمَع
٣) حك : وفُهم
٤) روى بحك : سبب التفرُّس بها
٥) حك : إظنُّهُ
٦) حك : لنيري
٧) حك : وتعقَّبتُ فيها اسبابًا في كتابي . (قلنا) ومن العجب انَّ ابن القفطي ينسب لنفسهِ كتابًا ألَّفهُ صاعد الاندلسي (اطلب مقدَّمتنا) . ولعلّ ابن القفطي كان قدَّم على هذه الفصول اسم صاعد ثم اسقطهُ الناسخ فحصل الخلل
٨) حك : الحسن. ذكرهُ حك (ص ١٦٢) واختصر النسب . امَّا ابن ذي الدُّمَيْنة فقال الحاج خليفة (١ : ٣٩٢) وغيرهُ انهُ يُعرَف بابن حائك
٩) في كتاب الحكماء لابن القفطي لم يفصِّل هذه الفنون

عهد ابي كرب لسعد الكامل وهو الاوسط (١ . والفن الخامس في السيرة الوسطى من لسعد ابي كرب الى عهد ذي نوّاس . والفنّ السادس في السيرة الاخيرة وذلك من عهد ذي نوّاس الى عهد الاسلام . والفنّ السابع في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة . والفنّ الثامن في ذكر قصور حمير وحكّامها وحروبها ودفائنها وشعارها (٢ . والفنّ التاسع في امثال حمير وحروفها (٣ وحكمها . والفنّ العاشر في معارف همْدان وفي اثناء هذا الكتاب جمل حسان من حساب (٤ القرانات واوقاتها ونبذ من علم الطبيعة واحكام (٥ النجوم وآراء الاوائل في قدم العالم وحدثه (٦ واختلافهم في ادواره وفي تناسل الناس ومقادر (٧ اعمارهم وغير ذلك . ولهُ بعد هذا تواليف حسان منها كتاب سرائر (٨ الحكمة وغرضهُ التعريف بجمل علم هيئة الافلاك ومقادير حركات الكواكب وتبيين علم احكام النجوم واستيفاء ضروبه واستيعاب اقسامه . ومنها كتاب القوى وكتاب اليعسوب في الرمي والقسيّ والسهام والنصال . ووجدت بخطّ امير الاندلس الحكَم المستنصر بالله ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله ابن محمد ابن عبدالله الامير ابن عبد الرحمن الامير ابن الحكم الامير ابن هشام امير المؤمنين ابن عبد الملك امير المؤمنين ابن مروان الحكم الموس (٩ الاموي ان ابا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة اربع وثلثين وثلثمائة (٩٤٦ م)

ومنهم ابو الحسن علي بن عبد الرحمان بن يونس المصري (١٠ كان مختصًّا بعلم النجوم متصرّفًا في سائر العلوم بارع الشعر وعلى الجملة لزيج يحيى بن ابي منصور تعويلُ اهل مصر في تقويم الكواكب اليوم

---

١) نظنّ انّ الصواب : وهو تبّع الاوسط

٢) هذا الجزء الثامن من كتاب الاكليل قد وقف على نسخة منهُ احد علماء الالمان وهو ساعٍ اليوم في طبعهِ . اطلب ايضًا وصف هذا الكتاب في كشف الظنون (١ : ٣٩٣) . وصاحب الاكليل هو مؤلف كتاب صفة جزيرة العرب الذي طبعهُ الاستاذ مولّر (D. H. Müller) سنة ١٨٩١ في ليدن

٣) في الاصل : خروبها

٤) حك : من حسان

٥) حك : اصول احكام

٦) في الاصل : وجدته . وهو تصحيف

٧) حك : مقادير

٨) ويروى : اسرار

٩) كذا في الاصل . لعلّها القرشي . وابن القفطي اهمل هذه الاسانيد

١٠) اطلب تاريخ الحكماء (ص ٣٣٠)

ومنهم ابن الهيثم المصري (١ صاحب التآليف في المرآي المحرقة . اخبرني القاضي ابو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن انهُ (54) لقيهُ بمصر سنة ثلثين واربعمائة

فهؤلاء مشاهير المتقنين بعلم النجوم التعليمي البرهاني واما علم النجوم الطبيعي وهو معرفة احكام الكواكب وتأثيرها في عالم الكون والفساد فان اول من اشتهر به في مملكة الاسلام محمد بن ابرهيم الفزاري المذكور وكان [مذهب منهُ (٢ الى مذاهب العرب . ثم تلاهُ في هذه الطريقة محمد بن الجهم البرمكي وكان مع ذلك معتنياً بالمنطق وابن مسافر اليماني وخالد الاموي ويحيى بن ابي منصور فكان هؤلاء يجرون مجرًى متقارباً في التمذهب بمذاهب العرب في احكام النجوم

واما المتحققون بهذه الصناعة والمالكون فيها مسالك العجم من الفرس واليونانيين وغيرهم فمن اشتهر منهم يعقوب بن طارق (٣ صاحب كتاب المقالات في مواليد الخلفاء والملوك وتعود (٤ من لم تعرف مولدهُ

ومنهم ما شاء الله الهندي صاحب التواليف الفخيمة (٥ . وابن سهل بن نَوبَخت (٦ الفارسي وكان في زمان الرشيد (هو) وابنهُ الفضل وابو علي الخياط واسحق بن سليمان الهاشمي صاحب الكتاب المعروف بابي مُعاش المؤلف على تحاويل سني العالم وعمر بن الفَرّخان الطبري وابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي وابو الهمدان والجماعة سواهم

وممن اشتهر بعلم الطب وسائر العلوم المنتبطة من العلم الطبيعي اسحاق بن عمران المعروف بسم ساعة (٧ كان بغدادي الاصل ثم سكن افريقية في دولة زياد (٨ الله بن الاغلب وهو استجلبهُ من بغداد وكان مقدَّماً في جودة القريحة وصحة العلم

١) في الاصل : ابن الهشيم
٢) كذا في الاصل . والصواب كان يتمذهب فيهِ
٣) اطلب حك (٢٧٨) والفهرست (٢٧٨)
٤) كذا في الاصل ولعلَّها : سود
٥) اطلب الفهرست (٢٧٣) وحك (٢٢٧)
٦) في الاصل بَخت وهو تصحيف اطلب حك (١٦٥) والفهرست (٢٧٥)
٧) كذا وقد ذكرهُ ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢٥-٢٦)
٨) صب : زيادة وهو الصواب

وهو الذي الّف (بين) الطبّ والفلسفة بديار العرب ولهُ كتب جليلة منها كتاب توهة النفس وكتاب النبض وكتاب المالنخوليا وكتاب الفصد وغيرها وبرت لهُ مع زيادة الله بن الاغلب امور أحنقتهُ عليهِ لفرط جورهِ وسخف رأيهِ فامر بفصد ذراعيهِ فسال دمُهُ الى ان مات ثم امر بهِ فصُلب ومكث مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشش في جوفهِ طائر (55) والله اعلم

ومنهم جابر بن حيّان الصوفي (١ وكان متقدّماً في العلوم الطبيعيّة بارعاً منها في صناعة الكيمياء ولهُ فيها تواليف كثيرة ومصنفات مشهورة وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلّداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوّفين من اهل الاسلام كالحرث بن اسد المحاسبي وسهل بن عبد الله التُستري ونظرائهم . واخبرني (٢ محمد بن السعيد الرَقُسطي المعروف بابن الشّاط الاسطُرلابي انهُ رأى لجابر بن حيّان بمدينة مصر تأليفاً في العمل بالاسطرلاب (٣ تتضمن الف مسألة لا نظير لهُ

ومنهم ذو النون بن ابراهيم الاخميمي (٤ من طبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيميا وتقلد علم الباطن والاشراف على كثير من علوم الفلسفة . ومنهم علي بن رين (٥ صاحب الكتاش (٦ المعروف بفردوس الحكمة وهو معلم محمد ابن زكريا الرازي

ومنهم احمد بن ابراهيم بن ابي خالد القيرواني (٧ المعروف بابن الجزّار كان حافظاً للطبّ دارساً للكتب جامعاً لتواليف الاوائل حسن الفهم لها . ولهُ مصنفات حسنة في الطب وغيرهِ فمن اشهرها كتابهُ في علم الامراض المعروف بزاد المسافر وكتابهُ في الادوية المفردة المعروف بالاعتماد وكتابهُ في الادوية المركّبة المعروف بالبغية ورسالتهُ في النفس وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها وكان لهُ ايضاً عناية بالتاريخ أدّتهُ الى ان

١) هذه الترجمة نقلها بالحرف ابن القفطي (حك ١٦٠-١٦١)
٢) حك : وذكر ٣) حك : عمل الاسطرلاب
٤) اطلب ابن القفطي (ص ١٨٥) وقد روى الاخميميّ وهو الصواب
٥) هو علي بن رين الطبري وفي الاصل « ابن وربي » وهو تصحيف . اطلب حك (٢٢١) والفهرست (٢٩٦) ٦) والصواب الكنّاش وهو في السريانية المجموع
٧) ذكرهُ صب (٢ : ٢٧-٢٨)

يؤلف فيه مختصراً حسناً سماهُ كتاب التعريف في صحيح التاريخ وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفر وثروة

ومنهم علي بن العباس المعروف بابن المجوسي (١ صاحب كتاب كامل الصناعة الطبيعيَّة المعروف بالملكي ألَّفهُ للملك عضد الدولة بن فناخسرو بن ركن الدولة ابي علي حسن بن بويه الديلمي وهو كتاش جليل مشتمل على علوم الطبّ واعماله (56) ولا اعلم كتاشاً مثلهُ

فهولاء مشاهير علماء الاسلام عندنا من اهل العراق والشام ومصر

[العلوم في الاندلس]

واماً الاندلس (٢ فكان فيها ايضاً بعد تغلب بني امية عليها جماعة عُنيتْ بطلب الفلسفة ونالت اجزاء كثيرة منها وكانت الاندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به الَّا انهُ يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الاجماع على انها من عمل مارك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة (٣ الى ان افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة (٧١١ م) فنأت (٤ على ذلك ايضاً لا يعنى اهلها بشيء من العلوم الَّا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الملك لبني اميَّة بعد عهد اهلها بالفتنة فتحرَّك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاثارة الحقائق على حسب ما يأتي ذكرهُ بعد هذا ان شاء الله تعالى

واماً دين اهل الاندلس فدين الروم من الصابئة اوَّلاً ثم النصرانيَّة الى ان افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرنا. واماً ملكهم فكان لطوائف من الامم مختلفة تداولوها امَّة بعد امَّة. فمن تلك الامم الروم وكان عمالهم يتزلون مدينة

---

١) اطلب حك (٢٣٣) وصب (١ : ٢٣٦)

٢) في الاصل الاندليس وقد كرَّرها. وقد تبعنا في كتابتها المشهور

٣) قد خُدع المؤلف لعدم معرفته بكتب نصارى الاندلس فانَّ كثيرين من العلماء قد اشتهروا فيها منذ القرن الخامس الى السابع للمسيح وكتبهم الجليلة لا تزال بين ايدينا كتآليف ابزيدورس ولياندرس القديسين الاشبيليين واوروسيوس المؤرخ وغيرهم كثيرين راجع مقالتنا في الكنيسة والعلوم القلكيَّة في (المشرق ٦ : ١٥)

٤) كذا ولعلها : وداست

طانف العتيقة المجاورة لاشبيلية (١ واتصل ملكهم بها زماناً طويلاً الى ان غلبتهم عليها القوط فانتسخ الملك الرومي منها واتخذ القوط مدينة طُلَيْطلة مدائنها العتيقة قاعدة لملكهم وملكوا الاندلس افخم ملكٍ قريباً من ثلثمائة سنة الى ان غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكرهُ واعتقد (اقتعد) ملوكهم قرطبة وطناً ولم تزل مركز للملك المسلمين بهـا الى زمان الفتنة وانتشار الامر على بني امَيَّـة فافترق عند ذلك شمل الملك بالاندلس وصار الى عدَّةٍ من الرؤساء حالهم كحال الطوائف من الفرس

واما حدود الاندلس فان حدَّها الجنوبي منها الخليج الرومي الخارج مما يقابل (57) طنجه في موضع يعرف بالزقاق سعتهُ اثنـا عشر ميلاً ثم ينتهي الى مدينة صور من مدائن الشام . وحدُّها الشمالي والغربي البحر الاعظم المسمى اقيانس المعروف عندنا ببحر الظلمة وحدُّها الشرقي في الجبل الذي فيهِ هيكل الزهرة الواصل ما بين البحرين بحر الروم والبحر الاعظم ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلثة مراحل وهو الحدّ الاصغر من حدود الاندلس وحدّاها الاكبران الجنوبي والشمالي ومسافة كل واحد منهما نحو ثلثين مرحلة ومسافة حدّهـا الغربي نحو من عشرين مرحلة ووسط الاندلس مدينة طليطلة العتيقة التي كانت قاعـدة القوط وعرضها ٣٩ درجة و٥٠ دقيقة وطولهـا ٢٨ درجة بالتقريب فصارت بذلك في القريب من وسط الاقليم الخامس وهي في وقتنا هذا الذي هو سنة ستين واربعمائة (١٠٦٨م) قاعـدة الامير ابي الحسين يحيى بن اسمعيل بن عامر بن مطرّف بن موسى بن ذو (ذي) النون عظيم ملوك الاندلس . واهل بلاد الاندلس عرض المدينـة المعروفة بالجزيرة الخضراء على البحر الجنوبي منها وعرضها ٣٦ درجة واكثر مدنها عرضاً بعد المدائن التي على ساحلها الشمال وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة فمعظم الاندلس في الاقليم الخامس وطائفة منهـا في الاقليم الرابع كاشبيليه ومالقة وقرطبة وغرناطة والمريه ومُرسية

وهذا الجبل الذي ذكرنا فيهِ هيكل الزهرة الذي هو الحد الشرقي من الاندلس

---

١) في الاصل : اسبلية (Séville) والشائع بالشين

هو الحاجز ما بين الاندلس وبين بلاد افرانسة من الارض الكبيرة التي هي بلاد افرنجة العظمى. والاندلس آخر العمور في المغرب لانها كما ذكرنا منتهية الى بحر الاوقيانس الاعظم الذي لا عمارة وراءهُ (١ ومسافة ما بين مدينة طليطلة وسط الاندلس وبين مدينة رومية قاعدة الارض الكبيرة نحوٌ من اربعين مرحلة فهذه جملة من خبر الاندلس

ولنعُد الآن الى ذكر علمائها الذين هم غرضنا من ذكرها فنقول انهُ لما كان وسط (58) المائة الثالثة من تاريخ الهجرة (٢ وذلك في ايام الامير الخامس من ملوك بني اميَّة وهو محمَّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بالاندلس تحرَّك افرادٌ من الناس الى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع الى قريب وسط المائة الرابعة. فمَّن اشتهر من العلماء ما بين وسطى هاتين المائتين فاعتنى بعلم الحساب والنجوم ابو عبيدة مسلم بن احمد بن ابي عبيدة البلنسيّ المعروف بصاحب القبلة (٣ وانما عُرف بذلك لانهُ كان يُسرف كثيراً في صلاتهِ وكان عالماً بحركات الكواكب واحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث ودخل الى المشرق فسمع بمكَّة من علي بن عبد العزيز وبمصر من الزَّني (كذا) والربيع بن سليمان المرادي ويونس بن عبد الاعلى ومحمَّد بن عبدالله بن عبد الحكم وجماعة سواهم ففيهِ يقول احمد بن محمَّد (بن) عبد ربهِ:

أبا عبيدةَ والمسئولُ عن خبرٍ ... بحكمهِ الآ سوآر (٤ الذي سألا
أبيتَ الّا شذوذاً عن جماعتنا ... ولم يُصبْ رأيُ من ارجى ولا اعزلا (٥

---

١) هذا رأيهم قبل اكتشاف اميركا

٢) يظهر من قول المؤلف عن العلوم بين عرب الاندلس ان نهضتهم العلميَّة كانت في وسط القرن الثالث للهجرة اعني التاسع للمسيح وهو يوافق زمان حركة العلوم في الدولة العبَّاسية على عهد المأمون

٣) ذكرهُ احمد الضبيّ في تاريخ رجال اهل الاندلس (ed. Coderа, 456) قال عنهُ: «هو محدّث اندلسي رحل سنة ٢٥٩ (٨٧٣ م) في طلب العلم وكتب ورجع الى بلدهِ وحدَّث ومات سنة ٣٠٤ (٩١٦ م)». امَّا ابيات ابن عبد ربّهِ فيهِ فلم نجدها في مجموع آخر لنصلحها

٤) كذا والشطر مخلوط مختلّ الوزن ٥) كذا. ولعلَّ الصواب: من ارجى ولا اعتزلا

كذلك القبلة الاولى مبدّلة وقد ابيتَ فما تبغي بها بدلا
زعمت حرام او يدخت برزقنا (١ لا بل عطارد او برجيس او زُحلا
وقلت ان جميع الخلق في ملكٍ جم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والارض كورية حفّ الماء بها فوقًا وتحتًا وصارت نقطةً مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال بها قد صار بينهما هذا وذا أولا
فانّ كانون في صنما وقرطبة بردًا (كذا) وايلول يُذكي فيهما الشملا
هذا الدليل ولا قول عزوت به (٢ من القوانين يجلي القول والعملا
كما استنرّ ابن موسى في غوايته فواعر تسهل (٣ حتى خلتهُ جبلا
ابلغ معلقية المصغي لقولهما انا كفرنا بما قالا وما فعلا

[ابن موسى هو قاسم بن موسى المعروف بابن الافشين الكاتب. ومعاوية احد القرشيين النسّابين وتوفي ابو عبيدة هذا في سنة خمس وتسعين ومائتين (٩٠٨ م)]

ومنهم يحيى بن يحيى (٤ المعروف بابن التيميّة (٥ من اهل قرطبة كان بصيرا بحساب (59) النجوم والطبّ وغير ذلك متصرفًا في العلوم متفننًا في ضروب المعارف بارعًا في علوم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل وكان معتزليّ (٦ المذهب ورحل الى المشرق ثم انصرف وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة (٩٢٧ م)

ومنهم محمد بن اسمعيل المعروف بالحكيم (٧ كان عالمًا بالحساب والمنطق دقيق الذهن لطيف الخاطر وكان مع ذلك نحويًا لغويًا وتوفي سنة احدى وثلثين وثلثمائة (٩٤٣ م). ثم لمّا مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الامير الحكم (٨ المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وذلك في ايام ابيه الى العناية بالعلوم والى

---

١) كذا والغالب انهُ مصحف ٢) تظنّ ان الصواب غررت به
٣) كذا وفيهُ تصحيف ظاهر ٤) اكثر تراجم الاندلسيين التابعة قد نقلها بعرفها ابن ابي اصيبعة (صب) في كتاب عيون الانبياء في طبقات الاطبّاء (٢ : ٢٩ و٥٣) عن صاعد ونبّه الى ذلك مرارًا (وترجمة يحيى في ٢ : ٢٩)
٥) صب: ابن السينة
٦) في الاصل: معتزل وهو غلط
٧) لم يذكرهُ صب
٨) هو الخليفة الحكم الثاني المعروف بالمستنصر من خلفاء بني اميّة في الاندلس ملك على قرطبة (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ = ٩٦١ – ٩٧٦ م)

الثار اعلاها ولستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقيّة ايّام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعتهُ ملوك بني العبّاس في الازمان الطويلة وتهيّأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبُعد همّته في اكتساب الفضائل وسموّ نفسه الى التشبُّه باهل الحكمة من الملوك فكثر تحرُّك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلُّم مذاهبهم. ثم توفي في صفر من سنة ستّ وستين وثلاثماية (٩٧٦م)

وولي بعده ابنه هشام المؤيّد بالله (١ وهو يومئذٍ غلام لا يحتلم بعد فتغلّب على تدبير ملكه بالاندلس حاجبهُ ابو عامر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله بن ابي عامر بن محمد بن الوليد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني وعمد اوّل تغلُّبه عليه الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها واراد ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواصّ من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا كتب الطبّ والحساب . فلمّا تميّزت من بيان الكتب المؤلفة (60) في اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطبّ والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند اهل الاندلس الّا ما خلت منها في اثناء الكتب وذلك اقلّها امرَ باحراقها وافسادها فاحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيّل عليها التراب والحجارة وغُيّبت بضروب من التغاييب وفعل ذلك تحبُّباً الى عوامّ الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم (٢ اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند اسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم وكان كلّ من قرأها متّهماً عندهم بالخروج من الملّة ومَظنون به الالحاد في الشريعة فسكن اكثر من كان تحرّك للحكمة عند ذلك وخملت نفوسهم وتستّروا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل أولو النباهة

---

١) هو هشام الثاني من ملوك قرطبة الامويين (٣٦٦-٣٩٩ هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٩ م)

٢) من هنا ترى سبب قلة الكتب العربية في الاندلس وتسقط نوعاً حجّة الذين زعموا انّ النصارى لمّا تولوا على تلك البلاد احرقوها وقد رددنا على هذه المزاعم سابقاً لمّا زيفنا قول مجلة المقتبس (في المشرق ١٣ : ٦٥٩) وفي مقالتنا عن العلوم عند العرب وحريق مكتبة الاسكندريّة (١٣ : ٢٩٦ و٣٨٨)

من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونهُ منها ويظهرون ما تجوّز لهم فيهِ من الحساب والفرائض والطبّ وما اشبه ذلك الى ان انقرضت دولة بني اميّة من الاندلس وافترق الملك من المسربين (؟) عليهم في صدر المائة الخامسة من الهجرة وصاروا طوائف واقتعد كلّ ملك منهم قاعدة من امهات البلاد [فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس وتعقّبهِ عليهم (١ واضطرّت الفتنة الى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من العلوم القديمة كانت افلتت من ايدي المتحنين بحركة الحكم ايام المنصور بن ابي عامر واظهر ايضاً كلّ من كان عنده من الرعيّة شيئاً منها ما كان لديهِ منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً وقواعد الطوائف تتصرم قليلاً قليلاً الى وقتنا هذا فالحال بحمد الله افضل ما كانت بالاندلس في اباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجّر طلبها الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها . لكنّ اشتغال (61) الخواطر بما دهم الثغور من طلب المشركين عاماً فعاماً اطرافها وضعف اهلها عن مدافعتهم عنها قلّل طلّاب العلم وصيّرهم افراداً بالاندلس ثمّن كان عندهُ علم بشيء من العلوم الرياضيّة فدارل عناية الحكم بذلك في ايام ابيهِ الناصر لدين الله الى وقتنا هذا (٢

ابو غالب حباب (٣ بن عبادة الفرائضي كان مشهوراً بعلم العدد في وسط ملك عبد الرحمن الناصر لدين الله ولهُ في الفرائض تأليف حسن مشهور عندنا الى اليوم

ابو ايوب عبد الغافر بن محمد احد المهرة بعلم الهندسة ولهُ تأليف حسن في الفرائض وكان لهُ سماع من احمد بن خالد الفقيه وطبقتهِ وروى عنهُ مسلمة بن احمد الرحيطة (٤ ونظراؤهُ

وعبدالله بن محمد المعروف بالسرّي كان عالماً بالعدد والهندسة ولهُ كتاب

---

١) الاصل هنا مشوّش لم يمكن اصلاحهُ
٢) هنا ايضاً اضطراب في النسخة
٣) كذا ورد هذا الاسم في الاصل ولعلّهُ مصحف
٤) كذا: والصواب المرحيط كما سيأتي

مشهور في السبع وكان مع ذلك رجلًا ناسكًا فقيهًا إماماً في النحو واللغة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيميا وكان الحكم المستنصر بالله يعظمهُ ويوقّرهُ ويروم الاستكثار منهُ فيقبضهُ عنهُ ويكفهُ عن مداخلتهِ زهدهُ

وابو بكر بن ابي عيسى واسمهُ احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عمر بن احمد ابن محمد بن عبد الاعلى بن عبد الغافر بن عبد المجيد بن عبدالله بن ابي عيسى عبد الرحمن بن بورت (١ الانصاري صاحب رسول الله صلعم كان مقدّماً في العدد والهندسة والنجوم فكان يجلس لتعليم ذلك في ايام الحكم

اخبرني ابو عثمان سعيد بن محمد بن البعونس (٢ الطليطلي انهُ كان يسمع معلمهُ مسلمة بن محمد المرحيط عند ذكر ابن ابي عيسى هذا وكان معلمهُ يخرج عنهُ صناعة الهندسة ويقرُّ لهُ بالسبق فيها وفي سائر العلوم الرياضيَّة

وعبد الرحمن بن اسمعيل بن زيد المعروف بالاقليدي كان متقدّماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق ولهُ تأليف مشهور في اختصار الكتب الثانية المنطقيَّة. اخبرني عنهُ ابن اختهِ ابو العباس احمد بن ابي حاتم محمد بن عبدالله (بن) عبد (بن) هرثمة ابن ذكوان انهُ رحل الى المشرق في ايام الحاجب المنصور بن ابي عامر وتوفي هناك ابوهُ اسمعيل بن بدر (٣ احد وجوه قرطبة المتقدمين في (62) الشعر والعربيَّة وولي احكام السوق بها في ايام الخليفة الحكم رحمهُ الله

وابو القسم احمد بن محمد بن احمد العدوي المعروف بالطنبري (كذا) كان معلماً بعلم العدد والهندسة نافذًا فيها ولهُ كتاب حسن في المعاملات

وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي (٤ كان متحققاً اماماً في علم النحو واللغة ولهُ تأليف في الموسيقى ورسالة حسنة في المدخل الى علوم الفلسفة سمّاها شجرة الحكمة ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت الى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. وناله في ايام المنصور محمد بن ابي عامر محنة شديدة

---

١) كذا ولعلهُ الحرث ٢) والصواب: البونش

٣) كذا وقال آنفًا: اسمعيل بن زيد

٤) وهكذا روى ايضًا صب (٢: ٤٥) والضبي في بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (ed. Codera, 299)

مشهورة السبب لانّهُ بعد انطلاقهِ من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صِقِلّية

وابو القسم مسلمة بن احمد المعروف بالمرحيط (١ كان امام الرياضيين في الاندلس في وقتهِ واعلم ممّن كان قبلهُ بعلم الافلاك وكانت لهُ عناية بارصاد الكواكب وشغف بتفهُّم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي ولهُ كتاب حسن في تمام علم العدد وهو المعنى المعروف عندنا بالمعاملات وكتاب اختصر فيهِ تعديل الكواكب من زيج البتّاني وعُني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخهُ الفارسيّ الى التاريخ العربيّ ووضع اوساط الكواكب فيهِ لاول تاريخ الهجرة وزاد فيهِ جداول حسنة على انهُ اتبعهُ على حكايتهِ (٢ فيهِ ولم ينبّه على مواضع الغلط منهُ وقد نبّهتُ على ذلك في كتاب المؤلف في اصلاح حركات الكواكب (٣ والتعريف بخطإ الراصدين. وتوفي ابو القاسم مسلمة بن محمد (٤ قبيل منبعث (٥ الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (١٠٠٨ م) وقد أنجب تلاميذ جلّة ولم يُنجب عالمٌ بالاندلس مثلهم فمن اشهرهم ابن السمج (٦ وابن الصفّار والزهراوي والكرماني وابن خلدون

فاما (ابن السمج) (٦ فهو القسم احمد (٧ بن محمد بن السمج (٦ المهدي (٨ كان متحققاً (٩ بعلم العدد والهندسة متقدّماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت لهُ مع ذلك عناية بالطبّ ولهُ تواليف حسنة منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اوقليدس ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ومنها كتاب (63) طبيعة العدد ومنها كتابهُ الكبير في الهندسة تقصّى فيهِ اجزاء من الخطّ (١٠

---

١) روى ابن ابي اصيبعة (٣ : ٢٩) هذا الفصل بحرفهِ وذكر المؤلف وكتابهُ طبقات الامم. وهو يروي: المرحيطي

٢) كذا في الاصل وفي صب: على خطئهِ. ولعل الصواب خطّئهِ

٣) اطلب المقدّمة والصفحة ٨٣٥

٤) والصواب: احمد كما مرّ وكما روى صب

٥) صب: مبعث

٦) والصواب: السمح بالحاء: وهذه الترجمة في صب (٣ : ٢٩)

٧) صب: إصبغ وهو الصواب ٨) كذا. وفي صب: المهندس الرناطي

٩) صب: محقّقاً ١٠) صب: يقضي . . . من الخط

المستقيم والمقوّس والمنحني. ومنهـا كتاباهُ في الآلة المسماة بالاسطرلاب احدهما في التعريف بصورة صنعتها وهو مرتب على مقالتين والآخر في العمـل بها والتعريف بجوامع تأوهـا (١ وهو مقسَّم على مائة وثلثين باباً. ومنها زيجهُ الذي الّفهُ على احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند وهو كتاب كبير مقسم على جزئين احدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول. واخبرني عنهُ تلميذهُ ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى الناسي (٢ المهندس انهُ توفي بمدينـة غرناطة قاعدة الامير حبُّوس بن ماكس (٣ بن زيرى بن مناد (٤ الصنهاجي ليـلة الثلثا لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين واربعمائة (١٠٣٥م) وهو ابن ست وخمسين سنة شمسيَّة

واماً (ابن الصفّار) فهو ابو القسم (٥ احمد بن عبدالله بن عمر كان ايضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك ولهُ زيج مختصر على مذهب السند هند وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ وخرج من قرطبة بعد ان مضى صدر من الفتنة [واستقر وابنهُ قاعدة (٦ الامير مجاهد العامري من ساحل البحر الاندلسي الشرقي وتوفي بها رحمهُ الله

وقد نجب من اهل قرطبة تلاميذ جماعة سيأتي ذكرهم بعد هـذا ان شاء الله تعالى. وكان لهُ اخ يسمى محمداً مشهوراً بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبلهُ اجمل صنعاً لما منهُ

واماً (الزهراوي) فهو ابو الحسن علي بن سليمان كان عالماً بالعدد والهندسة معتنياً بعلم الطب ولهُ كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان (٧

واماً (الكرماني) فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي الكرماني من اهل قرطبة احد الراسخين في علم العدد والهندسة اخبرني عنهُ تلميذهُ الحسين ابن احمد (٨ بن الحسين بن حي المهندس المنجم انهُ مـا لقي احداً يجاريه في علم

١) صب : ثمرتها ٢) صب : بن الناشئ
٣) صب : ماكن ٤) كذا. صب : مناد
٥) صب : ابو القاسم. وهو يروى ترجمتهُ عن صاعد (٣ : ٤٠) بحرفها
٦) صب : واستقرَّ بمدينة دانية قاعدة . . .
٧) وزاد صب : وهو الكتاب المسمَّى بكتاب الاركان .
٨) صب : محمَّد. وترجمة الكرماني رواها صب (٣ : ٤٠) عن صاعد

الهندسة ولا يشقّ غباره (١ في فكّ غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء اجزائها ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حرّان من بلاد الجزيرة وعُني هناك بعلم الهندسة والطبّ ثم رجع الى بلاد الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من (64) تقريبا (كذا) وجلب معهُ الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفاء لا نعلم احداً ادخلها الاندلس قبلهُ ولهُ عناية بالطب ومجرّبات فاضلة فيهِ ونقود مشهورة بالحكي (٢ والقطع والشقّ والبطّ وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبيّة ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التعليمي ولا بصناعة المنطق. اخبرني عنهُ بذلك ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي وكان خبيراً به. ومحلُّهُ من العلوم النظريّة المحلُّ الذي لا يُجارى فيهِ (٣ بالاندلس وتوفي ابو الحكم (٤ رحمهُ الله بسرقسطة سنة ثمان وخمسين واربعمائة (١٠٦٦ م) وهو قد بلغ تسعين سنة او جاوزها بقليل

واما (ابن خلدون) (٥ فهو ابو مسلم عمرو (٦ بن احمد بن خلدون الحضرمي من اشراف اهل اشبيلية في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطبّ مشبّهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقهِ وتعديل سيرتهِ وتقويم سياستهِ (٧ وتوفي في بلدهِ سنة تسع واربعين واربعمائة (١٠٥٧ م)

ومن مشاهير تلاميذ ابي القسم احمد بن عبدالله بن الصفّار: ابن البرغوث والواسطي وابن شهر والقرشي والامطش المرواني وابن العطّار (٨

فاما (ابن برغوث) فهو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث كان متحققاً بالعلوم الرياضيّة مختصاً منها بايثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها وكان لهُ مع ذلك تحقّق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق واشراف حسن على سائر العلوم وكان عفيفاً جليساً حسن السيرة معتدل الاخلاق طيب الذكر

١) في الاصل: غبان وهو تصحيف
٢) صب: تفوز مشهور في آكى
٣) زاد صب: عندنا ٤) زاد صب: الكرماني
٥) ليس هو ابن خلدون المؤرخ الشهير الذي عاش بعد هذا الوقت بزمان. والترجمة منقولة في طبقات الاطبّاء (صب ٢: ٤١)
٦) صب: عمر ٧) صب: طريقته
٨) لم يذكر ابن ابي اصيبعة تلامذة ابن الصفّار

مرضيّ الاحوال وتوفي رحمهُ الله في سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢ م)

واما (الواسطي) فهو ابو الاصبغ (الاصبغ) عيسى بن احمد احد المحكمين (المحكّمين) بعلم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك ولهُ ايضاً بصر بجُمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وهو باقٍ الى وقتنا هذا

واما (ابن شهر) فهو ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني كان بصيراً بالهندسة في النجوم متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقه بليغاً شاعراً متكلماً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ وولي القضاء الرتبة الآخر دولة زهيرة العامريّ في سنة سبع وعشرين واربعمائة (١٠٣٦ م) وتوفي بمدينة قرطبة وهو باقٍ (65) على القضاء سنة خمس وثلثين واربعمائة (١٠٤٤ م)

واما (ابن العطار) فهو محمد بن خيرة العطّار مولى الكاتب محمد بن ابي هريرة خادم الظافر اسمعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون من صغار تلاميذ بن الصفار متقن لعلم العدد والهندسة والفرائض وهو لوقتنا هذا معلم لذلك في مدينة قرطبة . ولهُ ايضاً بصَر بصناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها (٢

ومن مشاهير تلاميذ بن السمح (السمح) ابو مروان سليمانُ بن محمد بن عيسى ابن الناعي (٣ بصير بالعدد والهندسة معتنٍ بصناعة الطبّ في احكام النجوم . وابو جعفر احمد بن عبدالله المعروف بابن الصفّار الطبيب

ومن مشاهير تلاميذ مسلم بن خلدون القرشي المعروف بالسلاح (٤ بقيّة العلماء باسبيلية (٥ وهو ابو مروان عبد الملك

ومن نظراء هذه الطبقة (عبدالله بن احمد السرقسطي) كان نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده . اخبرني عنهُ تلميذه علي بن محمد (كذا) ابن داود المهندس انهُ مـا لقي احداً احسن تصرّفاً في الهندسة منهُ ولا اضبط . ورأيت رسالة لهُ كتب بها الى ابي مسلم بن خلدون الاشبيلي يذكر فيهـا فساد مذهب السند هند في حركات الكواكب وتعديلها ويحتجّ باشياء قد رددنا عليه فيها وبيّنا

---

١) كذا . وهي كلمة مصحّفة ذكرهُ بين تلاميذ ابن الصفّار

٢) وقد في المؤلف الاطش ابا مروان الذي

٣) والصواب : الناشئ

٤) كذا ولعلّها السلام

٥) والصواب : باشبيلية

موضع الغلط منها في كتابنا المؤلف في اصلاح حركات الكواكب (١ والتنبيه على خطأ النجمين . وتوفي عبدالله بن احمد هذا بمدينة بلنسية سنة ثمان واربعين واربعمائة (١٠٥٦م)

ومنهم (ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم الهرزي (؟) الاشبيلي) كان بصيراً بعلوم البرهان واللسان والمسائلة كان متفنناً في ضروب المعارف صَنِعاً لطيف اليد توفي بمصر سنة عشرين واربعمائة (١٠٢٩ م) وهو لم يتمكن من سنّ الكهولة

ومن مشاهير اصحاب ابنُ برغوث ابن الليث وابن الجلّاب وابن حي . فاماً (ابن الليث) فهو محمد بن احمد بن الليث كان متحققاً بعلم العدد والهندسة مقتنياً بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه ذا مروءة كاملة ونفس طيبة وتوفي وهو متقلد القضاء بشربون (؟) من اعمال بلنسية سنة خمس واربعمائة (١٠١٥ م)

واماً (ابن حي) فهو الحسن (66) بن محمد بن الحسين بن حي التجيبي من اهل قرطبة كان بصيراً بالهندسة والنجوم كلفاً بصناعة التعديل ولهُ فيها مختصر على مذهب السند هند وخرج من الاندلس سنة اثنتين واربعين واربعمائة (١٠٥١م) ولحق بمصر بعد ان ثالثهُ بالاندلس وبالبحر بحر شداد ثم رحل الى اليمن واتصل بامرها السبحي القائم بدعوة الملك بعدَ المستنصر بالله بن علي الظاهر بن منصور الحاكم بن نزار العزيز بن معزّ المعز بن اسمعيل المنصور بن عبد الرحمن القائم بن عبيدالله المهدي الذي ملكهُ الآن مشتمل على بعض افريقية وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن فحظي ابن حي هذا عند الامير السبحي حظوتهُ المشهورة وبعثهُ رسولاً الى الخليفة القائم بامر الله ببغداد في هيئة فخمة ونال هناك دنيا عريضة . وبلغنا انهُ توفي باليمن بعد انصرافهِ من بغداد سنة ستّ وخمسين واربعمائة (١٠٦٤ م)

واماً (ابن الجلّاب) فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلّاب احد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم ولهُ مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعي وهو في وقتنا هذا مستوطن مدينة المرية قاعدة الامير محمد بن معن بن محمد بن صمادح التجيبي

(١ راجع المقدمة .

ومنهم ابو (الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكتّاني المعروف بابن الوقشي) (١ من اهل طليطلة احد المتفننين في العلوم المتوسعين في ظروف المعارف من اهل الفكر الصحيح والنظر الثاقد والتحقق بصناعة الهندسة والمنطق والرسوخ في علم النحو واللغة والشعر والخطابة والاحكام بعلم الفقه والاثر والكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس يفضله عالم بالانساب والاخبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم لقيتهُ بطليطلة سنة ثمان وثلثين واربعماية (١٠٤٧ م) وقد تقلد القضاء بين اهل طليره من ثغور طليطلة قاعدة الامير المأمون يحيى بن الظافر اسمعيل عبد الرحمن ابن اسمعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون

ومن نظراء هولاء ابو جعفر احمد بن حميس بن عامر بن منيح (٢ من اهل طليطلة ايضاً احد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطبّ ولهُ مشاركة في علوم اللسان وحفظٌ صالح في الشعر وهو من لدات (٣ (67) القاضي ابي الوليد هشام بن احمد بن هشام وابي اسحق ابراهيم بن لب بن اوليس التجيبيّ المعروف بالتويدس كان من اهل قلعة ايوب ثم خرج عنها واستوطن طليطلة وتأدب فيها وبرع في علوم العدد والهندسة والفرائض وقعد للتعليم بذلك زماناً طويلاً وكان لهُ بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم وعنهُ اخذتُ كثيراً من ذلك. وكان لهُ مع ذلك نقود في العربيّة وقد ادّب بها زماناً بطليطلة وتوفي رحمهُ الله ليلة الاربعا لثلث بقين من رجب سنة اربع وخمسين واربعماية (١٠٦٢ م)

فهولاء مشاهير مَن عُني بالعلم الرياضي بالاندلس وقد كان بها جماعة غيرهم اضربتُ عن ذكرهم اما لتقصيرهم عن هولاء واما لجهلي باسمائهم واخبارهم ومنازلهم من المعرفة وان كانوا مشهورين باسمائهم عندنا بالاندلس الى هنا وفي زماننا هذا افراد من الاحداث منتدبون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة وهمم رفيعة قد احرزوا من اجزائها (التتمة للآتي)

١) كذا. ولم يرو ابن ابي اصيبعة ترجمتهُ واشار اليهِ فقط (٣ : ٤١) ودعاهُ الكتّاني ذكر الضبي في تاريخ رجال الاندلس (ص ٤٧٥)

٢) صب روى (٣ : ٤١) دميج

٣) صب: من اقران

حكومة الحبش

لجناب الكاثاير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدّم فخري وسر اجزائي بلاط امبراطور الحبشة سابقاً (تابع)

٨ الوزارة

تأليف الوزارة في الحبشة حديث العهد لا يتجاوز ثلاثاً ووظيفة الوزير عندهم لا تنطبق على نظامات المملكة. وما هو الّا ميل مثليك للتقلّد بالافرنج في حكوماتهم ظنّاً منهُ بان كل ما يأتونهُ عين الحكمة والسداد لكنّ هذا الميل الذي حملهُ على تأليف وزارة لا ينطبق بشيء على عوائد ونظامات وتقاليد مملكتهِ. فقد سأل يوماً المقربين اليهِ من الافرنج وكلهم اصحاب غايات وسعايات: كيف يكون نظام بلادكم. فقالوا لهُ: ان اكبر الموظفين يُدعَون عندنا وزراء ولهم الحلّ والعقد والامر والنهي كلٌّ في دائرة نظارتهِ فواحد للداخليّة وهو رأس الحكام والولاة وما يلحق بهم من المأمورين وآخر للخارجيّة يهتمّ بعلائق الدولة مع بقيّة الدول وهو رأس السفراء والقناصل وآخر للحربيّة وهو رئيس الجيش وجميع القوّاد والضباط والجنود تحت اوامرهِ وغيرهُ للنافعة وآخر للتجارة. واذ رأى النجاشي ذلك استحسنهُ وطلب منهم ان يكتبوا لهُ على ورقة بما امكنهم من الايجاز وظيفة كلّ واحد من الوزراء وحدود اختصاصاتهِ ففعلوا وهم لا يدرون كيف يدور دولاب الحكومة عند هذا العاهل الحاكم بامرهِ وفي سلطنتهِ الاقطاعيّة ولا ما هي اختصاصات الامراء والرؤوس والعمّال كلّ في امارتهِ واقطاعتهِ فخبطوا وخلطوا واخذوا شيئاً من وزارة ايالة تونس وحشوه في قالب اخذوهُ من اختصاصات وزارة فرنسة وغيرها من دول اوربا وصنّفوا لهُ وزارة مبتدعة لا يُعرف لها الف من باء قدّموها لهُ قائلين: هذه ايها الملك رأس الحكمة وزبدة نظامات العالم ان انت وضعتها في حكومتك موضع الاجراء ازدهر ملكك وضُرب فيك المثل بين ملوك الارض بالقوة والاقتدار ونظام الاعمال والحكمة وسداد الرأي وصلحت حال رعيتك وصارت حكومتك غنيّة وامّتك عظيمة

٦ ٢ ١ ٣ ٤ ٥

١ النجاشي مليك – ٢ المطران مثاريوس – ٣ المرحوم الراس نسأ تيم الملك – ٤ المرحوم الراس مكونين امير مرر–
٥ الراس ولد جرجس امير كفا – ٦ راهب كاتب اسرار المطران

فاعجب هذا التقريظ منليك ولكنهُ لم يفهم شيئاً من هذا النظام الجديد ففكر بهِ قليلاً من الايام وعرضهُ على حاشيتهِ (وكلهم من المتملقين). قائلاً: يا قومي انظروا هذا النظام الجديد وليس هو نظام فرنسة ولا انكلترة ولا ايطالية ولا .. ولا .. بل هو نخبة من نظامات العالم الافرنجي ان نحن سرنا عليهِ فتنا هاتهِ الحكومات حكمةً ونظاماً وصرنا في مقدمة الدول العظيمة فيطأطئ الملوك رؤوسهم امامنا . فاجاب المتملقون: الرأي رأيك ايها الملك العظيم فانت اليوم ملك ملوك الحبشة وستصبح بلا شك بفضل هذا النظام الجديد ملك ملوك الارض كلها

ومع هذا كلهِ كان منليك يتردَّد في امر وضع هذا النظام موضع العمل لانهُ لم يفهمهُ واذ اجتهد ان يفهم يسيراً منهُ رآه على تناقض تامّ لنظام مملكتهِ فقال في نفسهِ : ان نحن وضعنا هذا النظام الجديد موضع العمل لا بد لنا من قلب دستور المملكة كله وهذا ليس بالسهل. وذلك لان النجاشي كان عالماً انهُ اذا ما حاول نزع السلطة من امرائهِ ورؤسائهِ ذوي الاقطاعات والامر والنهي في العسكرية والادارة والقضاء ضمن حدود امارتهم خيف من ان يسير هؤلاء بعساكرهم عليهِ فيزلوه عن عرشهِ ويختطفوا تاجهُ ويضعوا القيود في يديهِ ورجليهِ فاذا يفيدهُ حينئذٍ وزير الحربية او وزراء الاحراج والنافعة والبريد والبرق. والحاكي (التلفون) على انهُ تجلَّد وحدثتهُ نفسهُ بالعظمة والارتفاع فوق ملوك الارض اذ إن واضعي هذا النظام اكدوا لهُ وحلفوا بين يديه بشرفهم انهم مخلصون لسدتهِ الملوكانية متعلقون باهداب عرشهِ السليماني وانهم استحضروا الكتب الضخمة مما وراء البحار وقلَّبوا ونقَّبوا وردوسوا وتمعَّنوا حتى توصلوا ان يصيغوا دور هذا النظام وان هو الَّا حكمة لم يؤتها جدُّهُ سليمان ويعجز عن اتيان مثلها لقمان. فقال لهم: اما في بلادكم حكام مقاطعات متسلطون على الرعية في ولاياتهم فكيف يتداخل الوزراء في امورهم أفلا يتخاصمون؟ فقالوا لهُ: عش ايها الملك ان الوزراء هم خطّ الصلة بين الامراء ومليكهم واذا اصدروا امراً او قرَّروا نظاماً انما يفعلون باسم الملك لا بسلطتهم الشخصيَّة فكل واحد منهم يعدّ ككاتم اسرار جلالتك في دائرة اختصاصهِ. وعلاوةً على ذلك ألسنا نحن خدام جلالتك ورهيني الاشارة مستعدّين ان تأتي بامرك ونعلِّم هؤلاء الوزراء كيف يسيرون في وظائفهم؟ ..

فكان هذا الجواب عند النجاشي فصل الخطاب ومفتاح اغلاق النظام كله اذ رأى بالوزراء (وكلٌّ يفهم حسب دائرة معلوماته) حجّاباً ينقسون الاوامر او قصّاداً يتممون ما نُدبوا لاتمامه . فامر حينئذٍ ان تُضرب الطبول في القصر فضُربت ونادى المنادون في المدينة ان هلمّوا بحكمة واصغاء (صوفيا بروسخومين ١٠) واذ امتلأت باحات القصر وازدحمت بالرعايا كبيرهم وصغيرهم جاء رئيس الحجّاب وامامهُ الرايات وصرخ قائلاً : « يا ايها الناس اني صوتٌ صارخٌ باسم الملك فاسمعوا ارادته . هكذا يقول لكم . ياشعبي تعلموا جميعكم ان ارض اجدادنا هذه قديمة العهد جدًّا ومنذ ان دعاني الله لاتسنّم عرش اجدادي سليمان الحكيم وابيه داود الملك والنبي قد جاهدتُ الجهاد الحسن في سبيل ضمّ شتاتكم واقامة العدل بينكم وردّ هجمات العدوّ عنكم وهكذا حرستُ ارض إثيوبيا بكل دقة وقاتلت الذين حدّثتهم نفسهم بالتعدي علينا وقد نصرني الله في حروبي . اما الان وبلادنا بحمد الله مطمئنة وبها السلام لا يعاندنا فيها معاند ولا يستطيع احد ان يجتاز حدودها وجب علينا ان نعمل على رفع شأنها وتعزيز مكانتها وجعلها في مقدّمة بلاد العالم تمدُّناً وغنًى وقوةً وعلوماً . واذا نظرنا الى اخواننا ملوك الافرنج وجدنا الطرائق التي يستعملونها في ادارة شؤون بلادهم وصلاح حال رعاياهم رأيناها الخطّة المثلى فعهدنا الى اكثر الافرنج اخلاصاً لنا ووضعنا واياهم نظاماً جديداً يفوق نظامات دول الافرنج كلها لانهُ مؤلف من احسنها في كلّ دولة وقد عزمنا بقوّة الله ان نضع هذا الجديد موضع الابراء في حكومتنا هذه الخاضعة لعرشنا السليماني وعليهِ فقد سمّينا فلاناً وفلاناً الخ « منيستر » (وزراء) وتأمركم جميعاً ان تحترموهم وتكرموهم . اه »

وهكذا دخلت كلمة منيستر (على لفظتها الافرنجيّة) في عداد وظائف الدولة . فدُعي قاضي القضاة وزير العدليّة والمهردار وزير القلم واحد القواد المقربين وزير الحربيّة ورئيس الخزانة وبيت المال وزير الماليّة ومدير جرك اديس ابابا وزير التجارة والخارجيّة ثم قُسمت هذه الوزارة الى نظارتين فأُعطيت وزارة الخارجيّة الى مدير جرك هرر . وكذلك سمي قيم البلاط وزير البلاط ومتولي استثمار الاملاك العائدة للملك وزير الزراعة وغيرهما وزراء الداخليّة والناقعة والبريد والبرق والحاكي . وقد

نُفيت من اللاشحة وزارة الاديان خوفاً من وقوع سجس في الشعب وشقاق في الكهنة واصحاب مراتب الدين

وهكذا تألفت الوزارة وطنطنت الجرائد الاوربيَّة بخبر تأليفها والوزراء كمن أُعطي ولايةً في الصين لا يعرفون وظيفتهم ولا اختصاصاتهم نصفهم أُميُّون لا يقرأون ولا يكتبون واذا باحثتهم عن مسألة لا يفهمون. لا امر بيدهم ولا نهي ولا حلّ ولا عقد لا يستطيع وزير الداخليَّة ان يعطي امرًا للامراء اصحاب المقاطعات لان هؤلاء ارفع منهُ قدرًا واعظم شأنًا وهم قلَّما يخضعون للملك نفسهِ بل يستبدّون كيفما شاءوا في اماراتهم فكيف يتجاسر رجل أُعطي من عهد جديد اسم « منيستر » كلمة اجنبيَّة لا يعرفون معناها ولا مغزاها ان ينهي اليهم امرًا يخضعون لهُ وتظاماً يجرون بوجبه ولهم وحدهم الامر والنهي؟ واذا جاء هذا « المنيستر » الى قصرهم حسبوه عبدًا من عبيدهم يرقونهُ يوماً بليلتهِ وقفة الذليل على بابهم حتى يؤذن لهُ ان يدخل فيقبّل مواطئ اقدامهم. وان هو استند الى ما قيل لهُ عن اختصاصات وزارتهِ ورسم للامير خطَّة يجري عليها في امارتهِ غضب عليهِ الامير وامر فقُيّد الوزير بالاغلال وأُلقي في ظلمات السجن حيث يذوق السياط وانواع الاهانات والعذابات من احقر عبيد الامير. وهكذا قل عن وزير الحربيَّة تجاه القواد فانهم يحكمون مدنيًا وعسكريًا وقضاء في حدود اقطاعاتهم. اما وزير الخارجيَّة فلا سفراء لهُ ولا تفاصيل في البلاد الاجنبيَّة وما هو الَّا خادم يرسلهُ الملك الى السفراء في اديس ابابا ليحمل لهم كلامهُ ويأتيهِ بالجواب. واذا اراد أحد هؤلاء السفراء مخاطبة النجاشي ارسل ترجمانهُ توًّا الى الملك او استدعى وزير الخارجيَّة هذا اليهِ وسألهُ ان يقول للملك كذا وكذا او ان يطلب منهُ تعيين ساعةٍ للمقابلة فيصدع الامر ويروح ويغدو ثم يعود اليهِ بالجواب. واذا امر النجاشي او الامبراطورة او احد اعضاء العائلة المالكة ببناء بيت او تسييج بستان جاء وزير النافعة ودعى البنَّائين وجمع العبيد وبعضاً من عساكر القصر وذهب بهم الى مقلع الحجارة فاتى بالاحجار اللازمة ثم ذهب ايضاً واستحضر الاخشاب ودعا النجارين وابتاع الرمل والنورة وبقيَّة ما يلزم للبناء ثم وقف في الشمس يناظر الفعلة كي يسرعوا بعملهم ولا يقتلوا ساعات نهارهم بالغفلة والاهمال

واذا اجتمع هؤلاء المنيستروتش (كما يدعونهم بصيغة الجمع الحبشيَّة وفقاً للكلمة الافرنجيَّة كقولك في برنس برنسات وفي لورد لوردات الخ) في القاعة التي أُعدَّت لتكون مجلس النظَّار تداولوا بينهم في امور تافهة وربما عقدوا محكمة لوجود قاضي القضاة بينهم وهو وزير العدليَّة وهذا حيثما ذهب تتبعهُ جماهير المتخاصمين يطلبون سماع شكاويهم وهكذا ترفضُ الجلسة بعد ابراز الحكم او تأجيله

فانظر يا رعاك الله كيف الغراب اذا رام ان يقلِّد قفزة الحجل اضاع العمر في طلب المحال فينسى مشيتهُ ولا يتعلم مشية الحجل . هذه نتيجة ادخال نظام جديد في مملكة تناقض نظاماتها وحركة ادارتها سير هذا الاصلاح المزعوم فالنظامات في كل مملكة سلسلةٌ تتصل حلقاتها ببعضها واذا ادخلت عليها حلقة من غير نوع بقية الحلقات فصمت بينها وانفرط سلك نظامها وتوقفت حركة سيرها المعتاد فتصير الى بئس المصير

٩ التكاليف والضرائب وطرق جبايتها

ليس للحكومة الحبشيَّة ميزانيَّة معلومة للدخل والخرج ولا فرق ايضاً في بيت مال الحكومة وصندوق الملك فالملك هو الحكومة والارض وما عليها لهُ يهب ويمنع ويتصرَّف فيها كيفما شاءت ارادتهُ المطلقة . فكل ما يجمعهُ الجباة من المداخيل العائدة للحكومة يدخل في صندوقهِ وكلّ ما ينفق من اجل الحكومة او على بيتهِ الخاصّ وعلى ولائمهِ وغير ذلك من حاجياتهِ يُصرف من نفس هذا الصندوق بامر الملك

وليست الحكومة الحبشيَّة بحكومة غنيَّة فثروة منليك كلها اذا جمعنا ما عندهُ من المال نقداً في خزانتهِ وديناً في مصارف اوربا وبانك ذهب خامي وعاج ونحو ذلك في مخزنهِ قد لا يتجاوز المجموع ستين او سبعين مليوناً من الفرنكات وهذا كلهُ جمعهُ منليك في عهد ملكهِ . فقد اخبر الرحَّالون عن الملك سهلا سلاسيه جده انهُ كان يتعذر عليهِ في بعض الاحايين دفع خمسمائة فرنك نقوداً . الَّا انَّ هذه الحكومة غنيَّة بمحصولاتها ومداخيلها عيناً فهي لا تدفع اثمان الحبوب لجرايات عساكرها لانها تأخذ العشور عيناً ولا ثمن الملابس القطنيَّة ولا الاخشاب والحجارة لابنيتها ولا اجرة

بلسباداس بايانا بن باشاه قائد ميمنة جيش الحبش

العملة الوطنيين ولا معاشات للمأمورين الاداريين والعسكريين ولا ولا الخ فكل ذلك يأتيها عيناً من املاكها وضرائبها وجزية امرائها واصحاب الاقطاعات عندها. ولا هي مديونة ايضاً لدولة من الدول او لمصرف من المصارف. ولكن من جهة اخرى ليس عندها من المصاريف شيء مما عند بقيّة الدول في ميزانياتها

اما موارد الحكومة الحبشيّة فهي هذه:

١ (الجزية) وهي التي يقدمها الامراء للامبراطور نقوداً او عروضاً او بهائم او غير ذلك كما أشرنا في فصل سابق

٢ (العشور) هو عُشر الحبوب يستوفيه العشّارون عيناً من على البيادر ويرسَل الى المحلّات المعيّنة تحت ادارة مأمورين ليوزّع على الجيوش جرايات شهريّة وهو يُخزن عادةً في آبار وصهاريج منقوبة في الارض لا يعرف مواضعها العدو أيان الحرب والغزوات فيستولي عليها. اما عشور بقيّة المحصولات كالبن وسواه فيستوفى في جمارك الاسواق حيث يؤتى بها ليباع

هذه العشور هي مختصّة بالحكومة وهناك عشارون آخرون من قِبَل الامراء واصحاب الاقطاعات يستوفون حصّة مواليهم وهذه لا قاعدة فيها وقد تتجاوز نصف المحصول احياناً وبنوع الاجمال لا يُترك للفلّاح المسكين الّا ما يكفيه بالكدّ لمؤونة بيته

٣ (الجمارك) هي عشور ايضاً تُستوفى على كل ما دخل السوق ليباع سواء كان بضاعة اجنبيّة او وطنيّة او محصول الارض او بهيمة او مهما كان جنسه. فالبضاعة التي تستورد من الخارج من اي نوع كانت تدفع بالمائة عشرة من ثمنها حسب السعر الذي تباع فيه في ذلك السوق وبعضها تستوفى عيناً كالخام مثلاً. واذا نُقلت هذه البضاعة من سوق الى اخرى بعد دفعها العشور تؤخذ شهادة ناطقة من ذلك الجمرك وهم يدعونها «رفتيّة» ثم يستوفى عنها في السوق الثانية بالمائة ثلاثة ايضاً وفي كلّ سوق من الاسواق جمرك يجلس فيه العشارون ويعشّرون الداخل والخارج. فكل ما اتى به البائع من الحاصلات حبوباً او بنًّا او جاودًا او سمناً او بهائم او حطباً او خشباً للبناء او حجارة او مهما كان نوعهُ غالياً كان او بخساً الثمن أُتي به الى الجمرك اولًا حيث تُستوفى عنهُ العشور ثم يُذهب به الى السوق ليباع. وهذه العشور تؤخذ اما

نقوداً او عيناً حسب انواع المواد وحاجة الحكومة واستغنائها عنهُ . وفي كلّ باب من ابواب المدينة او كلّ مدخل من البرّية اليها يوجد خراس وعندهم عساكر لشبه « بالورديان » فاذا جاء الفلّاح او الفلّاحة حاملين محاصيلهم للبيع اوقفوهم هناك حتى يتجمعوا فيرسلونهم عشرة عشرة وعشرين عشرين مصحوبين بالعسكري فيسلمهم الى العشارين في الجمرك ثم يعود هذا العسكري الى الباب امّا البضاعة التي يصدّرها التجار فلا يُسمح تحميلها الّا من وسط الجمرك حتى يستوفى عنها رسم الخروج ويأخذ المكّاري اشهارًا مكتوباً حتى لا يتعارضهُ العشّارون على الطريق

٤ (الباج) هي ضريبة على المكّارين عن كلّ دابة محمّلة على حدود كلّ مقاطعة او امارة او اقطاعة وهذه عادةً يستوفيها سيد تلك المقاطعة

٥ (الضرائب غير الاعتياديّة) هي التي يضربها الملك او الامير من حين الى حين على الرعيّة عند نشوب حرب او اذا اراد بناء سور او انشاء طريق او نحو ذلك وفي اكثر الاحايين يكون الباعث خدعةً ويعود المال الى خزينة السيد . وتقاس مثل هذه الضرائب على مقدرة كل واحد من الرعيّة ويجعلون هذه الضرائب بثابة النقود عن كل رأس من الماشية وتختلف حسب اختلاف نوع الماشية فيُقال خمسة غروش مثلاً على كلّ بغل او فرس واربعة عن كل حمار او ثور او بقرة وغرشان عن كل راس من الغنم والمعزى وقس على ذلك

٦ (درگو) اذا ارتحل الملك من بلاطهِ والامير من قصرهِ والمتسلط من اقطاعته وجرّ معهُ حاشيةً وجيشاً إمّا للغزوات والحرب او بقصد السفر من محلّ الى آخر تحتّم على السكان ان يقدموا الدرگو وهي ضريبة يقضي بها شيوخ القرى على الفلاحين كلّ حسب مقدرتهِ فيجمع ما يقوم بحاجات القافلة الملكيّة او الاميرية المارّة من ذلك المكان من اكل وشرب وعلف للبهائم ونحو ذلك . واذا سافر موظف اوربي او بعثة علميّة استأذنت الملك بالدخول واتتهُ بالهدايا فكانت بضيافتهِ واصحب الملكُ المسافر بكتيبة من الجنود مع جاويش بيدهِ امر الى رؤساء المقاطعات ان يقدموا الدرگو للمسافر وحاشيته وقافلتهِ وعساكر محافظتهِ حينئذٍ كلما قامت القافلة من مرحلة سبقها جنديان الى المرحلة التالية وبيدهم الامر المختوم فتحتم على الحاكم ان يجمع الدرگو من عند الاهالي ويحضرهُ في بيتهِ حتى اذا وصلت القافلة الى المرحلة

التي في اقطاعته حالاً خفّ للسلام على سيد القافلة ومن ورائه العبيد حاملين الدرگو على رؤوسهم وظهورهم فيستقبل المسافر الحاكم بايناس ويقدّم له مشروباً (واصحاب البيوت الكبيرة يقدمون هديّة) وبضرقة وهكذا يجري الامر على طول مسافة الطريق حتى يصل المسافر الى نهاية رحلته

ومثل هذه الضرائب كانت ولم تزل الى اليوم مألوفة في كلّ انحاء الحبشة بل في بلاد غيرها ايضاً وقت الحرب اذ يتحتم على كلّ بيت ان يأوي جنديًّا او اكثر ويقدّم لهم ما كلاً ومشرباً ومبيتاً وعلفاً لبهائمهم اذا كانوا من الفرسان

٧ السخرة) تقسم هذه الضريبة الى نوعين السخرة المعلومة وهي ايام معدودة في كل اسبوع او في كلّ شهر يعمل فيها الزارعون في حقول مواليهم حراثةً وزراعةً وريًّا وبيدرًا ونحو ذلك والسخرة الموقتة وهي التي تكون بامر الملك او الامير لنقل شيء كمواد البناء لانشاء دار او كنيسة او طريق او نحو ذلك فاذا صدر الامر بجمع الناس للسخرة خرج الموظفون او الجنود المأمورة الى منعطفات الطرقات والى الاسواق وساقوا الناس كالغنم الى محلّ البناء او الى مقلع الحجارة وشغلوهم هناك بحفر التراب او نقل الاحجار والاخشاب الى غير ذلك. واحياناً يأمر الامير ان يتناوب موظفوه العمل في هذه السخرة فيجمع المأمور رجاله ويعملون في ذلك النهار وفي اليوم الثاني يستأنف العمل موظف آخر وهكذا حتى ينتهي العمل المقصود. فعلى هذه الطريقة بنى منليك وجميع امرائه قصورهم وابنيتهم الاميريّة ومهدوا الطرقات وانشأوا الكنائس ونقلوا الانثال من المرافئ البحرية الى داخليّة اقطاعاتهم. ولمّا استحضر النجاشي مجادل مجارية من اوربا لحدل الطرقات التي فتحها في أديس ابابا وضواحيها رأيتُ هذه القطع الضخمة يجرها مئات والوف من الناس بالسخرة وقد نقلوها على هذه الصورة مسافة اربعمائة كيلومتر من محطة السكة الحديدية في ديره‌داوا حتى عاصمة ملكه وذلك في مدة تتجاوز الشهر وقد أخذت النساء ايضاً للسخرة في هذا العمل وذلك ليحضرن الطعام ويستقين الماء على طول الطريق

ومثل هذه السخرة كانت مستعملة في كلّ ممالك العالم القديم من الاشوريين والفراعنة الى عهد قياصرة الرومان والروم الى العرب الى الدول العثمانيّة ولم تبطل في هذه البلاد الّا من عهد قريب فقط فقد رأيناها جارية في كلّ عهد الدور الخميني

السابق ولعلها لم يزل منها بقيَّة في عهد الدستور الى اليوم في اليمن والله اعلم .

٨ً (الاحتكارات) احتكرت الحكومة الحبشيَّة لنفسها بعض الاصناف التجارية او سلَّمت الاحتكار لبعض من التجار الاجانب مقابل جزية معلومة في السنة او اجرت على المحتكر دفع كذا وكذا عن كل زنة او مقدار . ولكنها رأت ان هذه الاحتكارات لا تفيدها شيئاً بل انَّها اضرَّت ببلادها فالغتها الواحد بعد الآخر ولم يبقَ الى اليوم سوى احتكار المطَّاط (الكاوتشوك) والتبغ وكلا هذين الاحتكارين على وشك السقوط لان المحتكرين انفسهم غير قادرين على القيام بشروط ما احتكروه ولأن التجار والرعيَّة طلبوا من الحكومة الغاء هذه الاحتكارات والحكومة ادركت عدل مطاليبهم فوضعت المسألة تحت البحث

(لها تتمة)

زراعة التبغ التركي في لبنان

للشيخ يوسف الجميل الاجزاني الحائز الجائزة الاولى في مكتب الطبّ والصيدلة (تتمة)

رُزَم الدخان

اذا دخل تشرين الثاني يجوز ان يباشر برزم اوراق الدخان . فاختر لذلك عموماً ايام الضباب والوطوبة التي تُعيد للورق لينهُ وتسهِّل سحبهُ من الشاكيك وافرازهُ وبسطهُ دون ان يلحق بهِ ضرر او اذى

امَّا اذا بقي الهواء جافًّا ناشفاً وخفتَ ان يطول تأخير عمل الرزم فاعمد الى قبو وطب او بالحري الى دهليز محفور بالارض كالصهريج على عمق نحو مترين ونصف يكون عرضهُ وطولهُ على قدر كميَّة الدخان المطلوب استحضارهُ . ومن الواجب ان لا يكون القبو المذكور او الدهليز مفروشاً بالبلاط ولا تُطلى جدرانهُ بالكلس لتنفذ فيهِ الرطوبة وتنال الشاكيك حظَّها منها . على انهُ يجب تغطية المكان بالواح فيسقَّف بها وانَّما يجعلون لها منفذًا في احدى الزوايا للنزول والصعود على سُلَّم يُقام في داخل

الدهليز الموما اليه . وتجهز في سقف الالواح اخشاباً طويلة كالمساطر يغرسون فيها شناكل من ٢٥ الى ٣٥ سنتمترًا لتعلق فيها الشاكيك

اما مدة تعليق تلك الشاكيك في الدهليز او الصهريج فتختلف على اختلاف الرطوبة اي ريثما تكتسب الاوراق ليناً كافياً دون الافراط في لينها لئلا تتعفن وفي الغالب تكفي لذلك مدة ٢٤ ساعة

ويلي التعليق فرزُ الدخان وهذه العملية سهلة اذا ما سبق الزارع واهتم بان يجري في قطف الورق على الطريقة التي بسطناها اعني اذا وضع في كل مشكاك ما يناسبهُ من اجناس التبغ المقتطف في تربة واحدة ومن قطفة واحدة ومن ورق واحد . فلا يبقى عليهِ حينئذٍ الّا ان يطرح ما يجدهُ من الورق الدون المهشم او الذي لم يبلغ تمام النضج مما تقصفت دوائرهُ او كان لونهُ ذا قتمة زائدة او بهت مفرط

فالورق الصالح يوضع على حدة على حسب ارقام قطفهِ . ثم تؤخذ الاوراق واحدة واحدة فيبسطها العامل على وكتهِ ثم يكدسها فوق بعضها بنظام الى ان يبلغ عددها ١٥ او ٢٠ . ثم يأخذها فيجعلها على اطباق خشبية مستديرة يكون قطرها ٥٠ سنتمترًا ريدير رؤوسها الى مركز الطبق ويعبيها بنوع ان الكدسة الواحدة تغطي التي سبقتها على ثلثي عرضها الى ان يبلغ ارتفاعها ٨٠ سنتمترًا . ثم يضع فوق الورق لوحاً يُثقَّل بحجر او حديد ليكبس الدخان كبساً معتدلاً . ومتى استحضرت من الصنف الواحد عددًا كافياً من الاطباق انظر ثانية الى الاكداس بالاجمال لعلك تجد بينها ما يفضّل نفيهُ فتطرحهُ وتبادر حالاً الى عمل الزرم

ينبغي لعمل الزرم ان تتخذ صناديق مربعة مستطيلة يبلغ ارتفاعها مترًا و٧٥ سنتمترًا وعرضها ٥٠ س وعمقها ٤٠ س تقريباً . وتكون هذه الصناديق مفتوحة من جانبيها الكبيرين . اما الجانبان الصغيران اعني رأس الصندوق وكعبهُ فتفرز فيهما من داخلهما اثلاماً مستطيلة متوازية على طول الصندوق يبعد كلّ ثلم عن الآخر سنتمترين . وهذه الاثلام معدّة لأن يدخل فيها لوح قابل الانتقال والتركيز يُجعل على طول الصندوق لكنهُ اقلّ عرضاً منهُ وعلى اطرافهِ صفائح من حديد سويّة صقيلة يسهل تركيبها في الاضلاع وتثبيتها فيها كما يشاء العامل . فبفضل هذا اللوح تصبح الزرم في الصندوق على العرض الموافق لطول اوراقها

وتأخذ لعمل الزرم قطعاً من القماش وافضلها ما كان نسيجاً من شعر المعز او من الجفاص المتين. وهذه القطع تخاط من جانبيها وتُكفّ اطرافهـا لتزيد بذلك متانة. اما طولها فيكون نحو متر ين وعرضها مناسباً لعرض البالة اعني من ٢٥ س الى ٣٥ س. وتُلفّ هذه القطع منفردة. فان اردت لفّ رزمة خذ قطعة وافرش احد طرفيها في اسفل الصندوق بحيث يزيد عنهُ نحو عشرين سنتمتراً من جهة الوجه وما بقي من القطعة أبقه ملفوفاً من الجهة الاخرى ثمّ انشرهُ عنـد نجاز كبس الدخان ليغطي الرزمة بالتمام الّا من الإبهام فيبقى قسم غير مغطّى

واذا نقلت الاكداس من الاطباق الى الصندوق ضعها فيهِ بنظام وترتيب متماكبة اعني ان اكعاب احد الاكداس تلامس جدار اليمين بينما يلامس الكبس الثاني جدار اليسار الموازي لهُ بحيث تكون رؤوس الورق متلامسة في وسط الصندوق فيغطي بعضها بعضاً على مسافة بضعة سنتمترات طولاً ونحو ربع جانبيها او ثلثه عرضاً. وعلى هذا المنوال يعبّى الصندوق طبقات طبقات الى اعلاه. فتُحصل من تعبيته على هذا النمط فائدتان: الاولى بان لا يبقى فراغ في الرزمة ويضيع المكان. والثانية بان يكون قوامها متوازياً متراصاً

وينبغي ان تكون هذه الرزم متناسبةً منسّقة تمّ اتساق ولنوال هـذه الغاية يجب ان تلاحظ تعبية الصندوق فاذا نجزت احدى طبقات الاكداس اتقياً عليك ان تضغط ضغطاً قليلاً سطحها بواسطة مسطرة عريضة من الجديد الى ان تصبح تلك الطبقة سويّة صقيلة فيجعل العامل فوقها طبقة ثانية كالاولى يكرّر عليهـا الضغط بالمساطر الحديديّة وهلمّ جرًّا الى ان ينتهي الزرم وحينئذٍ يُنشر باقي القماش او الجفاص ليحيط بالرزمة من اسفلها وجانبيها وقسماً من الجانب الرابع حيث تلتقي اطراف القماش وينبغي ان يترك بين الطرفين مسافة فارغة نحو ثلثي ذلك الجانب وانما تُثبت الاطراف بخيط مصيص قوي او خيط من شعر المعز يخاط على هـذه الصورة W. ويفضلون خيط الشعر لسبب لزوجته ومرونته. وكلّما رأيت في اثناء اعداد الزرم ونقلها وتنظيمها ان حزمها قد ارتخى لان التبغ يزداد جفافاً يوماً فيوماً وينخفض تحت الضغط فيليك ان تشدّ ذلك الخيط باعتدال ليبقى الضغط متساوياً عند انتقاص حجم الورق واسترقاقه بالجفاف والضغط. ثم توضع الرزم على بعضهـا

اثنتين إثنتين وفي كل اسبوع يبدل وضعها فتجعل الرزم البليا في الاسفل بحيث يصير تساوٍ في الضغط على كل الرزم بالتداول والنظام حتى يتناقص عاوٍ الرزمة بالتدريج من متر ونصف الى نصف متر وما دون وبعد ثلاثة او اربعة اشهر يمكنك ان تضع ثلاث رزم على بعضها مع لزوم تغيير وضعها كل خمسة عشر يوماً كما قلنا آنفاً عن الرزمتين

وقد سبق لنا القول انهُ لا بُدَّ من الاسراع في الرزم بعد افراز ضروب التبغ وانواعهِ المختلفة. والغاية من ذلك ان يُعبى الورق وفيهِ بعض الرطوبة فيبقى ليناً ولا يتهشَّم في اثناء تبييتهِ واستحضارهِ. وهناك فائدة اخرى غاية في الاعتبار فان الرطوبة الباقية تسهل الاختيار لنضجهِ وتكسبهُ طعماً لذيذاً وعرفاً طيباً لطيفاً. فلو رزمت التبغ بعد تمام جفاف اوراقهِ لفقد تلك الخاصة لعدم حصول ذلك الاختمار للطيب لجوهرهِ ذلك فضلاً عمَّا ينالهُ من التكسير والتفتُّت. وعلى خلاف الامر اذا بادرت الى رزم التبغ وهو ندي زائد الرطوبة اصابهُ ضرر آخر كبير فانهُ يعطن ويتعفَّن ويفرط في الاختمار السريع فيفسد تماماً

وبالرزم تنتهي مهمَّة الزارع وما عليهِ حينذاك الَّا ان يهنئ نفسهُ ان انجز عملهُ بنشاط ودقة ويفرح بجودة تبغهِ ووفرة ثمنهِ بعد ما كابدهُ من الاتعاب لادراك الغاية. وعلى عكس ذلك انهُ يندم ويأسف ان لم يلازم العمل بالتدقيق والهمَّة مهما تكبَّف من النفقات لتوسيع الزدرعات وتوفير العلَّات اذا لم يجر على الاصول والقواعد الراهنة في تدبير المساكب ومراعاة الزرع وحسن القطف والتجفيف والرزم فتذهب آمالهُ سُدى ويخيبُ رجاؤهُ من الارباح المقصودة ولكان الاحرى بهِ لو اكتفى « بجواكير » صغيرة يحصر عنايتهُ فيها فانهُ يبلغ بذلك الى نتائج افضل واوفر لانَّ الحصول منوط بحسن العمل لا بوفرة الزدوعات

والرُّزَم يبلغ في الغالب وزنها من ١٥ الى ٣٠ كيلو وهي كبيرة الحجم اذا كانت تشتمل على ورق التكعيبة ويتكون اصغر حجماً على قدر ما يقرب من ورق الترويسة اما ثمنها فيكون على خلاف حجمها عادةً والرزم الاقل وزناً في الغالب الاوفر ثمناً

والزارعون لا يتقنون عادة هذه الرزم ولا يُعنون بحسن هيئتها فاذا اراد الباعة ان يعرفوا اصنافها وقدرها ينبغي لهم ان يفكوها ويسلموا هندستها الى عملة

اختصاصيين الذين يتأنفون افرازها ثانيةً وتهيئتها على حسب اصنافها وموافقتها لمطالب معامل السكاير

ولما كان الغرض من فصولنا هذه ان نعلّم الفلاحين طريقة العمل ونرشدهم الى الوسائط القريبة من دائرة اشغالهم لا نرى موجباً للاطالة في البحث عن افراز الدخان على طريقة الاختصاصيين لانها صعبة دقيقة لا يُحسن القيام بها الّا عملة المجلّات التجاريّة الكبرى التي يخدم فيها عمّال محنّكون طالت مدّة اختبارهم على يد اناس عُرفوا بذوقهم وحذقهم بهذا الفنّ

وقد بقي علينا مع هذا ان نفيد الزارعين بنصيحة ذات بال فنقول لهم اذا نجز استحضار الدخان وتمّ رزمهُ لا بُدَّ الى ان تأتي اوانُ بيعهِ ان يُحفظ على الواح في اماكن نظيفة نقيّة الهواء خالية من كلّ رائحة مستكرهة لا يصيبها رطوبة ويسهل تهويتها . وعلى كلّ يجبّ تفقُّد المكان حيناً بعد حين لاستدراك ما لعلّهُ يطرأ من الاختمار او من لسباب التعطيل على التبغ

وان لحظت لدى معاينة الرزم انّهُ قد عرض لبعض الرزم « حماوة » كبيرة وسخونة زائدة فافرزها عن الباقي وضعها في مكان طري يجري فيه مجرى هواء . واذا بلغت هذه الحرارة درجة حرارة الماء الفاتر اي متى تجاوزت الدرجة ٣٥ الى ٤٠ بالمقياس المئوي فعليك ان تحلّ خيوط الرزمة الى ان يزول الاختمار . وان وجدت هذه الواسطة غير كافية اقتضى حلّ الرزمة تماماً فتعرض الاكداس المتكوّنة منها للهواء ريثما يتوقّف الاختمار فتعود الى رزمها ثانيةً

اما اذا رأيت ان جانبي الرزمة العريضين اللذين لا يتألفان بالتماش او الجنفاص والمتكوّنين من كعوب الاوراق اي اضلاعها او اعناقها قد ظهر عليها بعض بُقع العفونة او آثار النبار فيجب تنظيفها بفرشاة (شعريّة) من خيوط نباتيّة غليظة او بمكنسة

واعلم انّهُ لا يجوز وضع الرزم على الارض من جهتها المكشوفة او على جوانبها الموافقة لاطراف الاوراق بل توضع واقفةً على رؤوسها او كعوبها اي على جهات الرزم الاصغر اتساعاً بحيث يضغط الثقل على سطح الورق المنبسط

وكذلك لا يجوز للزارع ما لم يكن من ذوي الخبرة التامّة ان يتخذ المكابس

ايّة كانت ليضغط بها الورق فانّهُ يعرّض نفسهُ لخسارة جسيمة . والاولى بهِ ان يترك الكبس لاصحاب المحالّ التجاريّة الكبرى حيث يوجد اختصاصيون يفرزون الورق افرازًا نهائيًا ويستأنفون الرَّزْم ثم يكبسون الرُّزَم بعد ان يمضي عليها نحو سنة من قطفها ويختارون لذلك اوقاتاً مناسبة بعد نجاز الاختمار الذي يتمّ في التبغ الحديث السنّ في شهري تمّوز وآب . فهم يكبسون حينئذٍ الرزمة كلّ اسبوعين او كلّ شهر مرّتين او ثلاث مرّات لتكتسب بذلك طعماً لطيفاً وهيئة متناسبة صقيلة يرغب فيها الزبائن العارفون بالتبغ وخواصهِ الحسنة

ومما يستحبّ في التبغ الشرقيّ ان يكون ذا لون اصفر ذهبيّ او ذا شقرة تختلف نصوعاً . ويحسن بالورقة ان تكون رقيقةً ليّنة دسمة حريريّة اللمس . اما اذا كان الورق ضئيلًا سريع التفتّت فذلك دليل على انّ التربة التي زُرع فيها فقيرة ناقصة السماد . واذا كان على خلاف ذلك غليظاً بلا مرونة واضلاعهُ الوسطيّة زغبيّة غليظة فيستدلُّ منهُ على خشونة التربة التي لا توافق زراعة التبغ . واذا كان تبغك « يشرقط » عند التدخين ووجدت في طعمهِ عفوصة فذلك مسبَّب عن كثرة السماد في التربة

ومما يجب ان لا يغفل عنهُ الجمهور انّ التبغ مع كونهِ يكتسب خواصّهُ الطيّبة من التربة والمناخ الّا انّ تلك الخواصّ لا تتمّ ولا تنمو فيهِ الّا بطرق قانونية دقيقة في « توضيبهِ » واستحضارهِ وتخميرهِ

مدّة حفظ التبغ

اذا كان التبغ غنيًا بالنيكوتين بقي صحيحاً سالماً الى مدّة تنيف على اربع وخمس سنوات بل يكتسب جودةً سنة فسنة كما هو ثابت للعيان في التبغ المعروف بالسمسون والبفرة المزروعين في اراضي دسمة كافية السماد . اما التبغ الفقير بالنيكوتين فلا يلبث اذا عتق ان تنخرهُ الحشرات وتفسد عطرهُ وطعمهُ كما تراه في انواع البسما والاشكال العطريّة عموماً . ومن ثمّ يجبّ ان تُستعمل هذه الاجناس الاخيرة في السنة الثانية او الثالثة من عمرها حيث تبلغ تمام نضجها . ولا يحسن هرم التبغ في سنتهِ الاولى الّا اذا كان من الجنس الدون والاصناف الواطئة

اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

وهو جواب عن سؤال اقترحهُ على المشرق احد ادباء المصريين

تمهيد

شكرًا بل الفَ شكر للسيد المسيح كلمة الله المتجسد الذي في مدَّة تردُّدهِ مع البشر كشف لهم كل الحقائق المتعلقة بالحياة الآخرة وازال كلّ الشبهات التي كانت تقلق افكار علمائهم فضلًا عن عامَّتهم بخصوص النفس ومصيرها وثوابها او عقابها. فبهِ تعالى تحقَّقت آمال بني اسرائيل وصحَّت كلمة المرأة السامريَّة التي لقيها المخلِّص عند بئر يعقوب وهي لم تعرفهُ فقالت لهُ اذ سمعتهُ يتكلَّم عن اسرار الخلاص وعن السجود لله بالروح (يوحنَّا ٤: ٢٥): «قد علمت انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك يخبرنا بكلّ شيء.»

والحقّ يقال انَّ الربَّ لذكرهِ المجد قد اوضح غير مرَّة لتلاميذهِ ولكل الجماهير المتقاطرة لاستماع كلامهِ امور دار البقاء ايضاحًا لم يدع بعدهُ ريبًا لمستريب. وهذه التعاليم تجدها مكرَّرة في كلّ صفحة من صفحات الاناجيل الطاهرة وفي رسائل منار برلس الاناء المصطفى وفي بقيَّة اسفار الرسل ومنها انتزعت الكنيسة خلاصة عقائدها في عواقب الانسان التي اودعتها في دستور ايمانها وفي موجزات كتب الدين المستقيم التي تلقَّنها اولادها منذ حداثة سنِّهم بحيث لا تكاد ترى اليوم كبيرًا بل صغيرًا يجهل ان الإنسان اذا مات ولفظ روحهُ لا يموت كلُّهُ بل تبقى نفسهُ حيَّة بحياة مجرَّدة عن المادة. وانَّهُ لا بُدَّ لتلك النفس ان تقف امام منبر الديَّان لتُحاسَب على اعمالها الحسنة او السيئة (رومية ١٤: ١٠ و٢ قور ٥: ١٠) فتنال الجزاء بالحياة الابديَّة ان كانت عملت الصالحات ولم يبقَ عليها ما تفي بهِ لعدل الله وفاء موقتًا يؤجل لها ثوابها لمدَّة او تُعاقَب العقاب الابدي ان اقترفت المآثم واجترحت الكبائر. وانَّ هذا الحكم الخاصّ سينال تقريرًا نهائيًّا في آخر الدهر يوم يقوم الاموات من قبورهم وتُبعث

اجسادهم لتنضمّ الى نفوسها وتحيا معها الى الابد فحينئذٍ تُدان الافراد والامم دون استثناء ويُفصل الابرار عن الاشرار كما يُفرّق بين التيوس والخراف فيذهب اولئك الى جهنم النار الى الابد بينما يُخلّد هؤلاء في ديار النعيم مع الله سبحانهُ وتعالى وملائكتهِ القديسين (اطلب متى ف ٢٤ لوقا ٢١ مرقس ١٣ يوحنا ٥)

ذلك هو لباب التعليم الالهي بخصوص الآخرة

*

على انَّ ارباب البحث ربَّما تساءلوا عن معتقد اليهود في العهد القديم عن امر خلود النفس وحياتها في الآخرة وما سينالها من عذاب او جزاء من جزاء اعمالها. فمنهم من نكر على بني اسرائيل معرفتهم لتلك الحقائق واستند في نكرانهِ الى تكرار الاسفار المقدّسة لذكرى مجازاة شعب الله بالجزاء الزمنيّ من خيرات مادّيّة كنوّ اغلال وانتصار على الاعداء وعيشة هنيء او عقوبات هوليَّة كأنواء شديدة وحلول الوباء واستعباد لأُمّة بمعادية وجلاء الى بلاد غريبة . وقد زعم غيرهم انَّ الكتب المقدّسة ولاسيما التوراة لا تحتوي آيةً صريحةً يُستدلُّ منها على خلود النفس وعلى ادانها الحساب عن اعمالها في العالم الآخر وقبولها جزاء ابديًّا عنها في السماء او في الجحيم. ومنهم من ردّ هذه المزاعم بقولهم انهُ ليس من حقيقة بخصوص حياة الآخرة الّا وعليهِ دلائل وبيّنات في كتب العهد العتيق كما في اسفار العهد الجديد . وقد سلك بعضهم الطريق الوسطى فقال انَّ الكتب المقدّسة في العهد القديم تصرّح عن جوهر تلك التعاليم اي وجود حياة أُخرى وخلود النفس فيها في احدى الدارين لكنها تسكت عن تفاصيل عديدة بيّنها المخلّص في العهد الجديد

فبياناً للحقيقة لا بُدَّ لنا من تقديم بعض الملحوظات لادراك جوابنا الاخير فنقول:

اوّلًا انهُ لمن المعارم انَّ موسى كليم الله ثمَّ الانبياء من بعدهِ وبقيّة كتبة العهد القديم أُرسلوا من الله الى بني اسرائيل خصوصاً ليعدّوا للمسيح طريقهُ باختيار شعب من الشعوب يحافظ بين سائر الامم على عهدهِ تعالى الذي ضربهُ مع اجدادهم وبرّئة الوحي الاوّل في الفردوس. فترى كلَّ الاسفار المقدّسة ترمي الى هذا الغرض مباشرةً بالفصول الاولى من التكوين ثم بقيّة اسفار موسى التابعة للتكوين يليها كتب

العهد القديم التاريخيَّة التي تتقبَّل باخبار شعب الله أيام القضاة فالملوك فالاخبار الى ملوك بني حشمناي المكابيين. وليست لسفار الانبياء والاسفار الادبيَّة والحكميَّة الَّا وحي الله الى شعبهِ ليُحسن التصرُّف بين الامم فيصون نفسهُ من اقذار الشرك ويحفظ وديعة التوحيد ويستعدّ بقداسة الحياة لمجيء المسيح منتظر الامم الذي يفدي شعبهُ من رقّ عبوديَّة اعدائهِ لاسيما العدوّ الكبير ابليس خزاهُ الله

ثانياً ان شعب اسرائيل لمقامهِ بين امم عظيمة كان بعضها راقي التمدّن وافر الخيرات الزمنيَّة واسع الاملاك كان يتنازعهُ عاملا الخوف والرجاء. فاما الخوف فلئلَّا يبقى منفرداً عنها معتزلاً في دائرة بلادهِ الضيّقة واما الرجاء فأملاً بالفوز اذا خرج عن حدودهِ بمحالفة بعض تلك الامم والسير على آدابها وشرائعها. فكان ينبغي على موسى اوَّلاً ثم على الانبياء بعدهُ ليضبطوهُ في عزلتهِ الصالحة ان يقيّدوهُ بقواعد الخيرات الزمنيَّة اذا بقي امينا في خدمة الله او يهدّدوهُ بالعقوبات المحسوسة اذا تجاوز وصايا ربّهِ فلذلك تراهلا يقصرون في الغالب نظرهم الى تلك الخيرات او الشرور الزمنيَّة

ثالثاً ولا بدَّ ايضاً من القول انَّ خطيئة الجدَّين الاوَّلين كانت اقفلت في وجههما وفي وجه نسلهما باب السماء الذي كان يُنتظَر من السيد المسيح ان يعيد فتحهُ باستحقاق آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ فلا غرو ان الانبياء وكتبة العهد القديم لا يصرّحون بذكر سعادة الابرار في السماء بل وصفوا بدلاً منها اهوال اليسبوس

فبعد هذه المقدّمات نقول:

١ انَّهُ لا وجه الى الشكّ في انَّ العبرانيين كانوا يعتقدون حياةً غير الحياة الحاضرة تُخلَّد فيها النفس وتُثاب عن اعمالها. فانَّ هذا يلوح من مقام بني اسرائيل بين الامم فانَّ كل من عرف شرائعهم وكتبهم حتى من قدماء الفلاسفة كانوا يطرئون رقيّهم بين الشعوب. ولمَّا كان اعتقاد حياة اخرى من المعتقدات التي عمَّت كل الشعوب لا يجوز القول بانَّ العبرانيين جهلوا ذلك الامر الجلل ولاسيما انَّ ابراهيم خليل الله كان قبل خروجهِ من وطنهِ عاش مع البابليين الذين كانوا يقرّون بحياة تابعة لحياتنا هذه. وكذلك المصريّون الذين عاش اليهود بينهم كانوا يجاهرون بمعتقد حياة الآخرة

٢ ويثبت ذلك تقليد اليهود المتواصل منذ القرون السابقة للميلاد حتى يومنا هذا. فانَّ ما يرويهِ التاريخ عن بني اسرائيل يذكر بين معتقداتهم اقرارهم بخلود النفس وثوابها في الآخرة . ولنا على ذلك عدَّة شواهد في كتب التلمود والمثنى (Michna) واقوال الرَّبانيين لا يُستثنى منهم الَّا شيعة الصدوقيين القليلة الذين كانوا جنحوا الى الزندقة

٣ ولنا في اكرام الاسرائيليين للموتى شاهد حتي على اعتقادهم لحياة أخرى فانَّ مدافنهم التي اقاموها لملوكهم ولكبار رجالهم وحجهم اليها حتى اليوم لتعظيم ذويها وحرصهم عليها لئلَّا تُنتهك حرمتها كلّ ذلك لا معنى لهُ لو لم يُقَل انَّ اليهود يعتقدون بقاء النفس بعد الموت

٤ بل بلغ ببني اسرائيل اكرامهم للموتى الى تجاوز الحدود والافراط الظاهر وذلك انهم كانوا يستشيرون الموتى كما فعل شاول (١ ملوك ٢٨ : ٣—٢٠) لمَّا استشار صموئيل بعد موتهِ بواسطة عرَّافة عين دور . وقد نهى الله عن الامر غير مرَّة فانَّ موسى في سفر تثنية الاشتراع (١٨ : ١١) كان صرَّح بتحريمهِ ذلك حيث قال: « لا يوجد فيكم ساحر . . . ولا من يستشير الموتى ». وكذلك نهى عنهُ اشعيا (٨ : ١٩) . فضميمهم المذكور وان كان محرَّماً يدلُّ على معتقدهم بحياة النفوس بعد الموت الطبيعي

٥ وقد أيَّد الله هذا المعتقد بما اجراهُ على ايدي انبيائهم من المعجزات في الموتى . فانَّ ايليا البار اقام طفل ارملة صرفت بعد موتهِ (٣ملوك ١٧ : ١٧ — ٢٤) بل جعل الله في عظام نبيهِ اليشاع قوَّة الهيَّة حتى انها بمجرَّد مسيس احد الموتى لها قام الميت حيًّا (٤ ملوك ١٣ : ٢١) وكان في حياتهِ احيا ابن الشونمية (٤ مل ٤ : ١٧ — ٣٧) ومن هذه المعجزات ذكرهم لظهور الموتى للاحياء كخبر رؤيا يهوذا المكابي حيث ظهر لهُ اونيًّا الكاهن وارميا النبي الذي ناولهُ سيفاً من ذهب (٢ مك ١٥ : ١٢—١٧) وكذلك روايتهم لصعود ايليا الى السماء على مركبة (٢ ملوك ٢ : ١١) يشهد على المعتقد عينهِ

٦ وعلى هذا المعتقد بنى السيد المسيح (متى ٢٢ : ٣٢) برهانهُ لتفنيد الصدوقيين النافين القيامة والذين لم يقبلوا من اسفار العهد العتيق غير كتب موسى

فاستشهد لهم السيد المسيح بقول الله لموسى في سفر الخروج (٣:٦): « انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب » فاستنتج المخلص من تلك الآية حياة اولئك الآباء بقوله: « والله ليس اله اموات وانما هو اله احياء »

*

وان تصفحنا الكتب المنزلة على موسى النبي وعلى انبياء العهد القديم وجدنا فيها عدة شواهد التي تنبئ بمعتقد العبرانيين باسرار الحياة الآخرة وان لم تبلغ منتهى الوضوح والتفاصيل المدققة التي نراها في اسفار العهد الجديد

ويمكننا ان نقسم الكتب المقدسة الى ثلثة اقسام فنتتبع مقصودنا منها بخصوص دار البقاء والعالم الآخر: فالقسم الاول يشتمل على الاسفار الثانونية غير العبرانية. والثاني يحتوي اسفار الانبياء والكتبة الموحى اليهم الا موسى النبي. والثالث يتناول اسفار موسى الخمسة فنقول:

(القسم الاول) لا ريب في ان الكتب الثانونية من الاسفار المنزلة تتضمن شواهد عديدة على اعتقاد العبرانيين للحياة الباقية بعد الفانية. ولو اردنا نقلها لاتسع بنا المجال فدونك مثلا سفر الحكمة وقوله غاية في الوضوح (٢:٢٣): « ان الله خلق الانسان خالدا » وان (٣:١ — ١٨) « نفوس الصديقين هي بيد الله فلا يمسها العذاب وفي ظن الجهال انهم ماتوا... ومع انهم قد عوقبوا في عيون الناس فرجاؤهم مملوء خلودا وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم لان الله امتحنهم فوجدهم اهلا له محصهم كالذهب في البوتقة... وسيدينون الامم... اما المنافقون فسينالهم العقاب الخليق بمشوراتهم.. لان عاقبة الجيل الاثيم هالكة »

وفي سفر يشوع بن سيراخ اقوال تقرب من آيات سفر الحكمة يذكر فيها الكاتب الالهي الاخيار والاشرار وما يلحق بهم من جزاء اعمالهم في العالم الحاضر والعالم العتيد يوم يجزي الله كلا على عمله (نبي ٦ أ: ١٣—٢٢): ولسفر يشوع اهمية كبيرة منذ وجد اصله العبراني قبل ١٥ سنة وكان يهود فلسطين لا يقبلونه هذا بين اسفار الوحي لانهم لم يعرفوه الا في اليونانية

وما يقال عن سفري الحكمة وابن سيراخ يصدق في غيرهما من الكتب الثانونية كسفر طوبيا المكتوب في الكلدانية وفيه يقول طوبيا الشيخ لابنه

(٢ : ١٨) مثبتاً ايمانهُ بحياة أخرى : « نحن بنو القديسين وانما ننتظر تلك الحياة التي يهبُها الله للذين لا يصرفون عنهُ ايمانهم ابدًا » . وهناك يقول الملاك لطوبيا (١٢ : ٩) « انَّ الصدقة تنجي من الموت وتمحو الخطايا وتؤهل الانسان لنوال الرحمة والحياة الابديَّة » . وكسفر المكابيين حيث ورد (٢ مك ١٢ : ٤٦) قول الكاتب الموحى اليهِ في الثناء على من يصلُّون ويقدمون الذبائح عن الموتى لتُغفر لهم خطاياهم مع ما هناك من المديح ليهوذا المكابي لاعتقادهِ قيامة الموتى

(القسم الثاني) انَّ كثيرين من الكتبة الذين يسلّمون بموافقة الاسفار المقدَّسة الثانويَّة على تعليم عواقب الانسان من خلود النفوس ومجازاتها في الآخرة بالثواب او العقاب وقيامة الاجساد في آخر الدهر لتشارك النفوس في سعادتها او شقائها انَّما يزعمون ان هذه التعاليم حديثة بين العبرانيين اخذوها من اليونان او من العجم بعد أن خالطوهم منذ جلاء بابل . الَّا انَّ هذا الزعم باطل كما سترى فانَّ بني اسرائيل كانوا ورثوا تلك التعاليم من مصادر مستقلَّة

وهذه المصادر هي تآليف الانبياء والكتبة الذين عاشوا بعد موسى الى جلاء بابل . وكتبهم متعدّدة منها تاريخيَّة كاسفار يشوع والقضاة والملوك ومنها دينيَّة وحكميَّة وشعريَّة الانشاء كاسفار المزامير وأيوب وكتب سليمان ومنها نبويَّة كاسفار الانبياء الاربعة الكبار والاثني عشر نبيًّا الصغار . فيكون مجموعها ٣٥ كتاباً تتناول مدَّة نحو الف سنة وتُدعى بكتب الوحي الاوَّليَّة (protocanoniques) . كُتب معظمها بالعبرانيَّة وبعضها بالكلدانيَّة القديمة . فان استثنيناها بخصوص عواقب الانسان بعد موتهِ كانت فتواها موافقة لما أفتت بهِ الاسفار الثانويَّة وان لم تكن آياتها واضحة مثلها . وما لا يُنكر انَّ تلك الاسفار تُعلِّم بقاء النفس بعد انفصالها عن الجسد وانَّ الابرار والاشرار لا يتساوون في الجزاء وانَّ جزاءهما خالد مؤبَّد . وها نحن نذكر بعض الآيات المثبتة لذلك

فان باشرنا بأقربها عهدًا الينا وجدنا نبوَّة دانيال (١٢ : ٢) حيث يذكر « الراقدين في تراب الارض » ويقول انهم في يوم الدين « يستيقظون بعضهم للحياة الابديَّة وبعضهم للعار والذل الابدي » . وكان اشعيا النبي قبل دانيال سبق فذكر ما ينتظر الاشرار في الدار الآتية من العذاب المؤبد والابرار من الجزاء الدائم فقال عن الكفرة

(٣٣ : ١٤) انهُ يحلّ بهم الخوف والهلع « فيسكنون في نار آكلة وفي مواقد ابديّة » وكرّر في موضع آخر (٦٦ : ٢٤) خلودهم في العذاب فقال : « انّ دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ » اما السالك في العدل فقال عنهُ (٣٣ : ١٦) « انهُ يسكن في الاعالي »

وان تصفّحنا كتاب أيوب وجدناهُ ناطقاً بتلك الآية المجيدة التي تنبئ باعتقادهِ ليوم المعاد ونشر الاجساد فقال (١٩ : ٢٥ — ٢٧) : « اني لعالم بانّ فاديّ حيّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبس هذه الاعضاء مجلدي ومن جسدي أعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي تريانهِ لا غيري »

وليست تعاليم كتاب المزامير مخالفة لتعاليم الانبياء. ولسفر أيوب فانهُ صرّح برجائهِ في القيامة فقال (١٥ : ١٠) : « انك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدّوسك يرى فسادًا » وقال (١٦ : ٢٥) : بالبرّ اعاين وجهك واشبع عند اليقظة بصورتك ». وقد قابل داود في المزمور السادس والثلاثين بين الابرار وصانعي الاثم فبيّن ما ينال كلا الفريقين من المصير الحسن او سوء العقبى في حياتهم ومماتهم وكلّ آياتهِ تنطق بمعتقد النبيّ بعواقب الانسان في الحياة الاخرى

وفي سفر الجامعة الذي استند اليهِ كثيرون ليُنكروا على العبرانيين اعتقاد اسرار الآخرة ما هو على عكس ذلك برهان على معتقدهم بهِ . فليُراجع مثلاً الفصل الحادي عشر (١١ : ٩) وفيهِ يطيّب قلب الانسان في شبابهِ لكنهُ يذكّرهُ بالدينونة على اعمالهِ قائلاً : « اعلم انّ هذه كلها سيُحضرك الله لتُدان عليها ». ثم قال في الفصل الاخير من الكتاب حيث أودع مغزى كلامهِ وفيهِ صورة حيّة عن ايمانهِ بالآخرة فهناك يقول (١٢ : ١ و ٧) : « اذكر خالقك في ايام شبابك قبل ان تأتي ايام السوء . . . ويعود الروح الى الله الذي وهبهُ » ويختم كلامهُ بهذه الآية الجليلة : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه فانّ هذا هو الانسان كلهُ لانّ الله سيحضر كلّ عملٍ ليدين على كلّ خفي خيرًا كان او شرًّا ». فلعمري ليس اوضح من هذه الآيات التي تُبطل اعتراضات المعترضين حيث قالوا انّ صاحب الجامعة يجحد تعليم خلود النفس ومكافاتها يوم الدين على اعمالها

وفي هذه الشواهد كفاية على بيان ما ذكرنا من انّ العبرانيين قبل جلاء بابل لم يجهلوا اسرار الابديّة ودار البقاء

(القسم الثالث) يشتمل على اقدم ما كتبهُ العبرانيُّون . وذلك محصور في كتب موسى الخمسة أي التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع وعليها يُطلق اسم التوراة بحصر الكلام . وقد سبق لنا القول انَّ موسى يظهر فيها كمشترع يضع لشعب عظيم قوانين حياتهِ الاجتماعيَّة من دين وسياسة وقضاء . فاهمل بقيَّة التعاليم كالدينونة والجحيم والنعيم لا لكونهِ يجهلها بل لانها خارجة عن غرضهِ ولاقتراضهِ شيوعها بين شعب الله . وان امعنَّا مع ذلك النظر في هذه الاسفار امكننَّا ان نستخرج منها ادلَّة على اعتقادهِ لها ومعرفتهِ بها

والدليل الاوَّل نجدهُ في فصول التكوين الأُولى . فانَّ موسى يكرِّر غير مرَّة انَّ الله صنع الانسان على شبههِ وصورتهِ (تك ١ : ٢٦ و٢٧ ثم ٢ : ٧) ويذكر كيف ينتقم الله من قاتل الانسان اخيهِ (تك ٤ : ١٠ ثم ٩ : ٥—٦) « لانهُ بصورة الله صُنع الانسان » . فهذه الشواهد تُعدّ كألغاز متعلقة ان لم تُطلق على بقاء النفس وحياتها بعد تجرُّدها عن الجسد

والدليل الثاني الفرق الذي تجعلهُ اسفار موسى بين موت الاخيار وموت الاشرار فان سفر التكوين (٥ : ٢٣) يروي عن اخنوخ الرجل البار « انهُ كان سالكاً مع الله فاخذهُ اليهِ » . ولمَّا رأى بلعام النعم الممنوحة لشعب الله تمنَّى ان تكون آخرتهُ كآخرتهِ فقال (عدد ٢٣ : ١٠) : « لتَمُت نفسي موت المستقيمين ولتكن آخرتي كآخرتهم » . وعلى خلاف ذلك يُعدّ موت الشرير كعاقبة حياتهِ الاثيمة وان قُتل لمآثمهِ فُصل عن شعب الله المختار بل هو الله الذي يعطي الحياة لذاك والموت لهذا (تث ٣٢ : ٣٠ وعدد ١٦ : ٢٢)

والدليل الثالث انَّ الموت في التوراة لا يُعتبر كنهاية كل شيء بل كمصير الانسان الى آبائهِ سواء قُبر الميت معهم في مدافنهم او دُفن بعيدًا عنهم (تك ١٥ : ١٥ و ٤٩ : ٢٩—٣٢ ثم تث ٣١ : ١٦ و٣٢ : ٥٠) . وقد مرَّ لنا ذكر آية سفر الخروج التي استند اليها السيد المسيح لتفنيد مزعم الصدوقيين النافين حياة الآخرة .

والدليل الرابع هو اسم المكان الذي تجتمع فيهِ النفوس بعد الموت يدعونهُ « شأول » (שאול) فيصفونهُ اوصافاً تدلُّ على اهوالهِ وظلماتهِ فان كانت النفوس تفنى بالموت لما عدَّد الكتاب الكريم ذكر هذا المكان واتَّسع في وصف احوالها فيه

ولا بدَّ هنا مع ذلك من ابداء ملحوظ وهو انَّ (الشأول) المذكور يوصف كمحلّ تجتمع فيهِ النفوس كلها مع قطع النظر عن صلاحها او خبثها وذلك لانَّ السماء كانت أُقفلت حتى في وجه الابرار بعد خطيئة آدم في الفردوس وكان السيد المسيح هو المنتظر لفتحها. ولذلك ترى في بعض اسفار العهد القديم كالمزامير وسفر الجامعة بعض آيات تدلُّ على فناء المرء بعد الموت وسوء المصير في الحياة الآخرة وليس ذلك نكراناً لعواقب الانسان بل اشارة الى رُعب هذا المكان المهول الذي تسكنهُ النفوس موقتاً الى زمن مجيء المسيح. وبعض هذه الآيات تقابل بين حالة الحيوان وحالة الانسان في حياته المادّية فقط دون حياتهِ الروحيَّة

على اننا نسلِّم بانَّ كتبة العهد القديم جهلوا اشياء كثيرة من امور الآخرة عرَّفنا بها السيد المسيح الَّا انَّهُ لا يُنكر ايضاً انَّهم علموا باخصّ تلك الاسرار اجمالاً وانَّ اعتقادهم في ذلك ليس هو دون اعتقاد غيرهم من الامم المتمدنة كاليونان والرومان بل يفوق عليهم بكثير

وبهذا نختم كلامنا الموجز في هذا البحث الخطير الذي لو اتَّسعنا فيهِ كما ينبغي لادَّى بالقرَّاء الى السأم. وتتمَّةً للفائدة نشير اليهم بان يراجعوا مقالات كتبها حضرة الاب انطون صالحاني في سنتي المشرق التاسعة والعاشرة (١٩٠٦ و١٩٠٧) لها علاقة بهذا البحث عنوانها قبل الولادة وبعد الموت.

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السابع

النصرانيّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك السير الى مفاوز

ولسعة يحدُّها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحطة جرداء. لكنَّ شمالها اراض طيّبة كثيرة الخيرات تُعَدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنّات غنّاء. تزاحمت على ملكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واشوريين وشبعوا من دسمها ووفرة غلّاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصّون باسم السواد الارياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون تلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرّة من عمّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم مَن يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط ان يُغطّوا حظّهم من مستغلّات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنَّ القبائل المحالفة لمالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرها من القبائل فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنيّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم او لاسباب أخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوغّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمّوا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثبّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك فغازوا بمرغوبهم وانشأوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتّخذ له مدينة الانبار كقاعدة ملكه ثم نقلها خلفاؤه من بعده الى الحيرة ولم يزالوا يتنابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة (٦٣٣ م). وكان ملوك الحيرة في مدّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيّة بينما كان اخوتهم الغسّانيّون احلافاً للروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعاً بينهم كما في بقيّة جهات

العرب ورجت عندهم خصوصاً عبادة الكواكب والسيّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهل العراق ولعلّهُ دخل في دينهم ايضاً شيءٌ من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

امّا النصرانيّة فكان لها فيهم تأثير عظيم. وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمّا اشرقت شمس النصرانيّة سار دُعاتها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار فلبّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيّة. واذ كانت العرب ممتزجة مع سكّان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً الى التديُّن بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب. ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم

فمن ذلك ما رواهُ كتبة الكلدان عن اوّل من بشّر بالدين المسيحي في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقيّة (٤ : ٥ — ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاوّلين اعني ادّي او تدّاي احد السبعين وتلميذيهِ آجي وماري. لكنَّ كثيراً من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحّتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيّة لم تُبقِ ريباً في الامر اذ ثبت انَّ ادّي الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقّاً من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها. فانَّ اقدم التواريخ الكلدانيّة من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخّراً كتاريخ « برحدبشابا عرايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسيّة القديمة كلّها تشير الى بشارة الرسول ادّي (١ كما ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (٢ . وفي الشواهد عن هؤلاء

١) اطلب كتاب حضرة القس منگنا المنون (A. Mingana : *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيّاط في الكلدان والناطرة والرئاسة البطرسية Eb. Khayyath: *Syri Orientales seu Chaldæi*)i

٢) اطلب ترجمتهُ التي نشرها لاوّل مرّة في الاصل السرياني السيّد ابّلوس J. B.) Abbeloos : *Acta S. Maris*)

المبشرين الاوَّلين للكلدان ربَّما ذكروا ايضاً تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع: « وكان الداعي والمنصِّر والمتلمذ والمدبِّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحرَّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثنى عشر ناثنيل وهو ابن ثلماي (اي برتلماوس) » وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول (ص٥): ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في اليمر الذي مدح فيهِ مدينة الرها

امَّا ماري فانَّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيَّة النسطوريَّة واعمال المجامع وترجمتهِ الموماً اليها وكلها تشير الى دعوتهِ بين العرب في بلاد ميشان وسواد العراق وسكَّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق: « انَّ ماري بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز . . . وبلاد العرب سكَّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ». وقد روى الطيِّب الذكر السيد عبد يشوع خيَّاط في مقدِّمة اعمال مار ماري (١ انَّ ذخائرهُ وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقيّ الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشكَّ في تاريخيَّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قُلنا انَّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصُّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بيعهم في قصيدتهِ العينيَّة التي كتبها ليحذِّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيَّة فقال:

تاتْ فؤادي بذات الجزع خربةٌ مرَّت تريدُ بذات العذبة البيَعا

ففي ذكرهِ للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيَّة بينها

(١ اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ ed. Wüstenfeld) حيث أخّر تنصّرهم قائلاً: « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصّروا »

وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لَخم . وفي السيرة الحلبيّة (طبعة مصر ٣: ٩٥) انّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة لكنّ الكاتب لم يذكر زمن تنصّرهم

ولمّا ظفرت النصرانيّة بالدين الوثني في الدولة الرومانيّة بجاوس قسطنطين على منصّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الالوف المؤلفة الى التنصّر رغماً عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيّة تعمّ تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيّة لكنهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ . واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيّون تُعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها الى اللاتينيّة

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضاً قوم من العرب المتنصّرين كما يُستدلّ من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر اليّا النصيبيني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون ان سيّاحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرهبان (Βοσκόμενοι) لانّهم كانوا يعيشون في البرّية ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انّهم بحياتهم النسكيّة وفضائلهم العجيبة ردّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثمّ تبع هؤلاء السيّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

---

١) اطلب تاريخهُ (Sozomène, H. E., l. VI, 34)

وممَّن خصَّهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنَّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى انهُ كان تنسَّك في بلاد « الاسماعيليين » مختفياً في بعض المجاهل الَّا ان العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جرعاً متكاثفة ليسمعوا تعاليمهُ وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم . فاجاب الى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من لجاجهم ويبقى معتزلًا في مناجاة ربِّهِ

ويروى عن القديس يليان سابا اي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنَّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيَّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب الى الشمال فألقت في جهاتها عصا التسيار واخذت تقوى وتنمو وتضمُّ اليها شتات القبائل العربيَّة لتملك عليها . وكان بين ملوكها الاوَّلين المسمَّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدَّة ملكهِ الى اواسط القرن الرابع . وممَّا يجدر بالذكر ان الكتبة يؤكدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلًا عن ابن الكلبيّ وغيرهِ (طبعة مصر ١ : ٢٦٣) : « ولمَّا هلك عمرو بن عديّ ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو ابن عدي ويقال لهُ البدء وهو اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر وعمَّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الامر عجباً بعد ما روينا عن امور النصرانيَّة في اليمن فهذه القبائل المهاجرة الى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها الى العراق . يؤيدُ ذلك ما رواهُ القزوينيّ من امر « الانبياء » الذين ارسلهم الله الى بني حمير ليردُّوهم الى الله قال : « فبعث الله ثلاثة عشر نبيًّا (لاهل اليمن) فكذَّبوهُم » . لكن المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٣٩٣) ذكر توبتهم على

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤ : ٦٦١-٧٠٤)

٢) اطلب تاريخ الرهبان لتاودوريطس (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)

٣) اطلب اعمال البولنديين في اليوم ١٨ من شهر تشرين الاوَّل . وممَّا روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٠) انَّ بعض كتبة زمانهِ نسبوا قتل الامبراطور يليان الجاحد في حرب الفرس الى احد رُعاة العرب

يد اولئك الرسل وانتظام امورهم فقال: «وازال الله انعامهم واموالهم فقالوا لرسلهم: ادعوا لنا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا نشرك بالله شيئاً فسألت الرسل ربّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فاتّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام». وقال القزويني ان ذلك «كان بين مبعث عيسى والنبيّ» فتبيّن بقوله هذا انّ هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الّا دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليه من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصّر تلك القبائل اليمنيّة في العراق وذلك ما ذكره المؤرخون عنها فقالوا انّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ ed. de Slane): «تنوخ اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمّوا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب». امّا تنصّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغاني عن سابور ذي الاكتاف لمّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): «ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اوّل من اختطها... ثمّ اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: آل عباد الله فسُمّوا العباد» (له بقيّة).

مطبوعات شرقية جديدة

Mgr. A. Baudrillart: Histoire de France, *Paris, Bloud et C^ie^*, pp. IX-328.

تاريخ فرنسة

رأى الكاثوليك خطرًا عظيماً على الناشئة في ما ينشره الكتبة اللادينيّون من الكتب المدرسيّة التاريخيّة فيبثّون فيها زوان الكفر والتشنيع بالدين فقاموا لمعارضتها. وهذا تاريخ فرنسة الموجز قد وُضع لذلك على طريقة مستحدثة تجمع بين

اللذّة والافادة معاً كيف لا ومؤلفهُ احد افاضل الائمة اي السيد بودرليار رئيس مكتب باريس الكاثوليكي فانهُ مع وفرة اشغالهِ اراد ان يخدم الشبيبة بتصنيف هـذا الكتاب الذي نعدهُ من افضل ما كُتب لخدمة المدارس الابتدائيَّة الى يومنا . وممَّا يزيدهُ حسناً ما اودعهُ المؤلف من التصاوير المتعدّدة اللطيفة التي زيَّن بها الكتاب فجعلهُ كتحفة شهيَّة يتهافت عليها الاحداث . ويحقّ لمدارس بلادنا الافرنسيَّـة ان تتخذهُ كدستور تعليمها لتاريخ فرنسا الصحيح الاب ف. تورنيز

A. Valensin : Jésus-Christ et l'Etude comparée des Religions. *Librairie Lecoffre, Gabalda et C^ie^, Paris*, 1912 in-12, p. 237

السيّد المسيح بازاء درس مقابلة الاديان

درس مقابلة الاديان علم جديد شاع في الكليَّات الاوربيَّة منذ بضع سنوات ونصبهُ اعداء النصرانيَّة كمنجنيق يرمون بقذائفهِ الدين القويم ومنشئهُ الالهيّ . على ان انصار الكنيسة لم يسكتوا لهؤلاء المعادين وتزلوا معهم في الميدان ليدافعوا عن دين المسيح ويذبُّوا عن حياضهِ ويُفحموا تبعة الكفر . وممَّا صدر مؤخرًا من ذلك مجموع خمس خطب القاها في اوائل هذه السنة في مكتب ليون الكاثوليكي احد اساتذتهِ الاب ألبار ڤالنسان تزيل كليَّتنا سابقاً . فهذه الخطب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً وهي مبنيَّة على اساس علمي محض فتفحص الخطيب في الثلث الاولى منها بزاعم العلم الحديث في شخص السيد المسيح وتعليمهِ وديانتهِ وبيَّن انَّ الديانات السابقة للنصرانيَّة كالديانات الشرقيَّة والبوذيَّة والبابليَّة لم تمهّـد الطريق للنصرانيَّة كما زعموا بل هي والنصرانية على طرفي نقيض . ثمَّ اثبت في الخطبة الرابعة ما كان الله تعالى اوحى بهِ لانبيائهِ عن المسيح في العهد القديم . وختم ذلك بخطبة خامسة وجّه فيهـا نظرهُ الى شخص ابن الله فبيَّن انَّ تلك النبوّات صدقت فيهِ وحدهُ لانهُ « الطريق والحقّ والحياة . والنور الذي ينير كلّ انسان اتٍ الى العالم » وانهُ « الاوّل والآخر الالف والياء » بل مجموع كلّ كمال لا يُرى في غيرهِ عزّ وجلّ . وهذه الخطب بليغة المعاني سامية الشواعر فكنَّا نطالعها بكل رغبة لما نجد فيها العقل من نور الحقائق والقلب من شريف العواطف . فشكرًا للخطيب الذي نتمنى ان يسمع اهل الشرق صدى صوتهِ ليستفيدوا من كتابهِ ويزيدوا ثباتاً في الايمان الصحيح الاب ف. تورنيز

TURKISCH - ARABISCH - DEUTSCHES WOERTERBUCH von Tewfik Ihsan u. E. A. Rodspieler, *Wien* u. *Leipzig, Hardleben's Verlag*, pp. 184

لغات كتابي تركجه المانجه

انَّ محلّ هرتلابن في ڤينّـة وليبسيك ساعٍ في نشر الكتب التي تسهّل على الاوربيين التكلّم بمعظم اللغات الشائعة في زماننـا . فبلغ مجموع مطبوعاته نحو مئة كتاب كلُّها على قطع واحد ومطبوعة طبعاً لطيفاً متجانساً وبثمن واحد لا يتجاوز فرنكين ونصف . . والكتاب المعنون آنفاً قد نجز آخراً يفيد طلبة التركيّة والالمانيّة خصوصاً صنّفهُ احد اساتذة التركيّة مع معلّم المانيّ . ومن محاسن هذا المعجم الصغير انَّ الالفاظ التركيّة والعربيّـة على صورتين بالحرف العربيّ ثم بالحرف الاوربّي لضبط تهجيتها فكفى بهِ دليلاً على افادتهِ ل . ش

كتاب لمحة الناظر في مسك الدفاتر

تأليف الشيخ ظاهر خير الله الشويري

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٢٠٢)

انَّ مسك الدفاتر في التجارة من اهمّ الامور التي تؤدي بصاحبهـا الى معرفة حالتهِ التجاريّة في كلّ وقت وتصونهُ من عدّة اغلاط من شأنها ان تهوّرهُ في اسوإ عُقبى وتورّطهُ في الافلاس السريع . على انَّ بعض الطلبة ينفرون من درس هذا الفنّ لظنّهم انَّهُ من اوسع واصعب الفنون ولعلَّ فئة من الاساتذة صوّروهُ لهم على هذا المنوال لغاية في النفوس . وهاءنذا بدليل خرّيت اشير بهِ اليهم ألا وهو الشيخ الاديب ظاهر افندي خير الله الذي باشر هذا الفنّ منذ خمسين سنة فعلّمهُ شفاهيًّا وعرف كل مسالكهِ ثمَّ دوّن معلوماتهِ في كتاب راج الرواج العظيم حتى انـهُ عاد اليوم فطبعهُ طبعةً رابعة وزاد في تنقيحهِ وتحسينهِ حتى جعلهُ كما قال في مقدّمتهِ « قريب الوصول سهل الحصول مطّرد القواعد واضح المطالب والفوائد فلا يفوق ادراك طالب ولا يضيع فيهِ تعب راغب » . ولا نرى في كلامهِ هذا مبالغة مع ما يلوح للناظر لاوّل وهلة من حسن الترتيب وصور المعاملات الحسابية وتعليم التقييدات البسيطة والمركّبة . وقد اردفهُ المؤلف بجزء ثانٍ ليس هو اقلّ فائدة من الاوّل جعلهُ ترويضاً للمباشر واودعهُ تمرينات كلها فوائد يستفيد منها الطالب والاستاذ معاً فعسى ان يلقى هذا

الكتاب ما يستحثّهُ من الاقبال فيهتمّ صاحبهُ الفاضل بطبع مطوّل آخر دعاهُ منية الخاطر استوعب فيهِ دقائق هذا العلم واستوفى فوائدهُ ل٠ش

كتاب ذخيرة الاصغرين

للسيّد الفضّال جرمانوس معقّد مطران اللاذقية

الجزء الاول. طُبع في مطبعة مار بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٣٠٨)

هذا الكتاب من بواكير مطبعة حديثة النشأة تستظلّ في حمى سيدة لبنان جمعهُ الحبر الجليل والطيّب الآثار السيّد جرمانوس معقّد الذي تعدّدت مآثر غيرتهِ بيننا بما نشرهُ من الكتب الطقسيّة والمواعظ والروايات الرائقة ثم شفعهُ بمجلّتهِ « المسرّة » الكاثوليكيّة الروح والمبدأ . وذخيرة الاصغرين حسنةٌ جديدة من حسنات سيادتهِ اوقفها لافادة الناشئة الكاثوليكيّة . وهي مجموعةٌ في اجزاء جعل الاوّل منها في ١٧ فصلاً اودعها منتخبات جمّة من تآليف الكتبة الاقدمين كالاغاني وكليلة ودمنة والفخري ومقدّمة ابن خلدون مزوجة بطُرَف من قلم المحدثين اخصّهم اليازجيون الثلاثة الشيوخ ناصيف وابراهيم وخليل فنقل كثيرًا من نفثات قلمهم او مما صُحّح بقلمهم لاسيما الشيخ ابراهيم كالكتاب المقدّس المطبوع بهمّة رسائنا وتاريخ اشور وبابل للمرحوم جميل المدوّر . وهناك نُتَف من رجعة الراند الذي جرى فيهِ الشيخ على طريقة الالفاظ الكتابيّة . وفي آخر الفصول اسئلة تستوقف خاطر التلميذ الى فحوى ما قرأهُ . فنرى انّ هذا الكتاب احسن ذخيرة لاصغري الاحداث اي لسانهم وقلبهم فعساهما يدّخران فوائد الكتاب ويحرزان الشكر على جامعهِ الفضّال ل٠ش

تاريخ حرب فرنسا والمانيا ١٨٧٠—١٨٧١

بقلم جرجي افندي ينّي الطرابلسي

عني بطبعهِ يوسف افندي توما البستاني (في مصر سنة ١٩١٢ ص ٢١٦)

اعلمنا جناب الطابع في مقدّمتهِ انّ هذا التاريخ قد نُشر تباعاً في مجلة الجنان فاراد تجديد طبعهِ على حدة فاجازهُ بذلك جناب مولفه جرجي افندي ينّي الطرابلسي . وهو تاريخ مفيد لكن كثيرًا من الاسرار التي جهلها الكتبة في الماضي انكشفت

الان حقائقها بما طُبع في السنين الاخيرة من الآثار الاصليَّة كاوراق بسمرك وبنديتي ومذاكرات مدام ادام عن غمبطا الخ فكشفت القناع عن كثير من الخفايا. فيا حبذا لو كان المؤلف اعاد النظر في مقالاتهِ القديمة واستفاد من المؤلفات الحديثة ا.ر.

تقويم البشير لسنة ١٩١٢

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة البشير

طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ (ص ١٧٠ + ٤٤) .

هذه السنة الخامسة والثلاثون لذلك التقويم الذي ظهر لاوَّل مرَّة سنة ١٨٨٧ صغيرًا ضئيلًا فتقلَّب في اطوار حياتهِ في هيئات شتى حتى اصبح اليوم مجموعاً واسعاً يحتوي من الفوائد ما لا تجدهُ في كتب ضخمة. وقد اثبتنا في غلاف الشرق خلاصة ابوابهِ فهي تُشعر القرَّاء بوفرة مضامينهِ التي لا يستغني عنها الوطنيّ في حاولهِ وترحالهِ وفي بيتهِ وغربتهِ مع ما هناك من جداول التواريخ والوصايا الصحيَّة والافادات الاقتصاديَّة والنكاهات المطربة والقوانين الشرعيَّة الى غير ذلك ممَّا يجعلهُ رفيقاً صديقاً وجليساً انيساً ل.ش

شذرات

ﷺ الماسونيَّة بازاء كنيسة الروم الملكيَّة الكاثوليكيَّة ﷺ ظنَّ بعض الماسون انَّ سيادة الحبر الغيور كيرلس مغبغب رئيس اساقفة زحلة بمناحيهِ الماسونيَّة تفرَّد في رأيهِ عن بقيَّة السادة الاساقفة وجاوز الحدود بمنعهم عن الشركة في اسرار الكنيسة واليوم قد قرأنا بمزيد السرور ما وجَّه الى سيادتهِ غبطة الكليّ الطوبى بطريرك الطائفة كيرلس الثامن جحا اعزَّهُ الله يثني على غيرتهِ ويطري حسن عملهِ مقبحاً « لغايات تلك الشيعة المحرومة من الكنيسة التي بدت الآن للعين المجرَّدة من ظواهرها الخادعة». وهذا حذو غبطتهِ سادة الطائفة الاجلَّاء. فاثبتت مجلَّة المشرق نُتفاً من رسائلهم القرَّاء التي نقلها البشير في عدده الاخير الصادر في ٣ تشرين الثاني. فليتحقَّق اذن الماسون المدَّعون بالكثلكة انَّهُ « ليست مخالطة بين النور والظلمة ولا موالفة للمسيح مع بليعال »

الرهبان والعلم للبسوعيين في سان فرنسيسكو مدرسة كبيرة اسمها سانتا كلارا لاحق بها مرصد فلكي يديرهُ الاب ريكرد احد كبار علماء الفلك. ومن مكتشفاتهِ الحديثة ما اثنى عليهِ هناك استاذ الفلكيَّات فوستر (W. T. Foster) من واشنغتون قال: « قد ادَّعى معظم الفلكيين في عهدنا انَّ سبب تأثيرات الشمس في جوّنا وارضنا انَّما هو كَلَف الشمس. امَّا الاب ريكرد فقد بيَّن ضعف هذا الرأي بعد درسهِ لكلف الشمس في مرصد سانتا كلارا وقد اثبت — ونحن نوافقهُ في رأيهِ المبني على الاختبار — انَّ هذه التأثيرات في ارضنا ليست بناتجة من كَلَف الشمس وانَّما سببها اختلاف موقع الشمس بالنسبة الى السيَّارات الكبرى. وعمَّا قليل سيتحفنا بكتاب واسع لا يبقي في الامر شبهةً » — فهكذا يخدم الرهبان العلم. ونحن بهذه النسبة نُلفت انظار مواطنينا الى مرصدنا الحديث في كسارا الذي اوسع مديرهُ الفاضل ابنيتهُ واستجلب عدَّة آلات فلكيَّة ورصديَّة منها للمظاهر الجوّيَّة ومنها للآثار المغنطيسيَّة وحركات الزلازل وقد نال جائزةً من مكتب ليون وثناء على اشغالهِ المدقَّقة. وممَّا افادنا مؤخرًا ما كتبهُ عن مذنَّبات السنة الحاضرة وهي لا تقلّ عن سبع وصف تاريخ ظهورها واسماء مكتشفيها وكبرها وسيرها ومدَّة دورانها في فلكها. وقد رصد حضرتهُ بعض هذه الكواكب المذنَّبة في مرصد كسارا الذي نتمنى لهُ كل اقبال وترقٍّ. فترى انَّ الرهبان لا يفصلون خدمة الدين عن العلم. والحكومة الفرنسويَّة قد اقرَّت بذلك حديثاً لمَّا اهدت مدير مكتبنا الطبيّ حضرة الاب لوسيان كاتان وسام جوقة الشرف من رتبة اوفيسيه. كما اقرَّت جمعيَّة الآثار القديمة في فرنسة آخرًا باقامة تمثال لاحد كبار الاثريين الاب ده لاكروا اليسوعيّ قريباً من بواتيه اعترافاً بفضلهِ لاكتشافاتهِ الاثريَّة العظيمة

تتويج صورة عجائبيَّة للبتول في الاستانة في ٢٥ آذار من العام الماضي اصدر مجمع القانونيين في الفاتيكان منشورًا سمح فيهِ بتتويج صورة السيدة مريم البتول المكرَّمة في كنيسة الآباء الفرنسيسيين في الاستانة. وهذه الصورة المعروفة باسم دراپاريس اهدتها احدى السيدات للمرسلين الفرنسيسيين سنة ١٥٨٤ لمَّا بنت لهم كنيستهم في حيّ غلطة. فلمَّا احترقت تلك الكنيسة سنة ١٦٧٨

نجت الصورة من الحريق بمعجزة باهرة ثمَّ نُقلت الى كنيستهم في حيّ پيرا حيث سلمت مرتين أُخريين من الحريق في السنة ١٧٠٠ ثم في ١٧٦٧. وكذلك في زلزال سنة ١٧١٧ هبطت الكنيسة وتحطَّم كلّ شيء فيها الَّا الصورة وإطارها. واهل الاستانة من نصارى وغيرهم يلتجئون دائبين الى حماية العذراء. وكثيرًا ما جازى الله ايمانهم بنعم وبركات تشهد عليها النذور التي تحيط بالصورة وتزينها. وقد جاء تتويجها باعثاً جديداً على اكرامها. ومعلوم انَّ هذا الامتياز لا يُمنح الَّا لصور قليلة

وهذه الصورة تذكِّرنا بصورة اخرى كانت تُكرم في رودس على جبلها المسمَّى فيلارم اتَّخذ فيه فرسان رودس البتول كشفيعتهم وحرزهم ونجَّتهم غير مرَّة من اعدائهم ولاسيَّما في ٢٨ تمُّوز سنة ١٤٨٠ حيث ارسل محمَّد الثاني مسيحَ باشا واسطولهُ لفتح الجزيرة فكاد يتمّ الفتح لولا انَّ العذراء ظهرت في السماء ونجَّت الجزيرة فاقفل الغزاة راجعين الى الاستانة. ثم عادوا في عدد مئتي الف لمحاربة الجزيرة سنة ١٥٢٢ وبعد ستة لشهر اخذوها بالامان. فسار فرسان رودس ومعهم الصورة العجائبيَّة فنقلوها الى مالطة فحرست الجزيرة مرارًا من جيوش العدوّ وبقيت مكرَّمة الى السنة ١٧٩٨ حيث دخل نابوليون الاوَّل جزيرة مالطة ونقل صورتها التي مـا لبثت ان وقعت في ايدي بولس الاوَّل قيصر روسيَّة فنصبها في احدى كنائس بطرسبورج وهناك تنال اكراماً عظيماً الى يومنا. لكن اهـل رودس لم يهملوا تذكار عجائب العذراء. فانَّهم جعلوا بدلًا من الصورة القديمة صورةً وجدوهـا سنة ١٦٩٣ بين بقايا آثار فرسان رودس فاكرموها ونالوا من البتول نعماً جليلة يذكرونها بالشكر والصورة تُعرف اليوم بسيدة الانتصار وهي تُكرم في كنيسة جميلة بناها الآباء الفرنسيسيُّون سنة ١٨٥٣

اوَّل والٍ عثماني نصراني بين الدلائل على انَّ الدولة العثمانية الدستوريَّة تريد المساواة بين عناصرها المختلفين انَّها في العام المنصرم لمَّا ارادت ان تقيم والياً على جزائرها في بحر سفيد والارخبيل التي تشمل رودس مع لواحقها ثم كريتوس وكوس وليروس ثمَّ پتموس وصاقس ومندلي ولمنوس وامبروس دعت الى هذه الرتبة احد مواطنينا الروم الكاثوليك ابراهيم افندي صوصا. وهو اوَّل نصراني دُعي الى تدبير احدى الولايات العثمانيَّة. ومعظم اهل هـذه الجزائر من الروم بينهم قليل من الكاثوليك اللاتين وقد دُعي دولتهُ مؤخَّرًا الى منصب الوزارة لادارة البريد

منافع الاضطهاد في المانية — كانت الكنيسة الكاثوليكية في اواسط القرن الماضي في المانية في حالة حرجة. فاراد انصار الحكومة ان يزيدوها ضعفاً وسقماً بسنّ شرائع جديدة تضغط على تبعتها فجاء الامر على عكس ما توهّمهُ اعداء الكنيسة فنهض الاساقفة ومعهم اصحاب الهمّة والاباء فاجتمعوا في مؤتمرهم الاوّل في مايَنْسة سنة ١٨٤٨ ثم اوثقوا روابط وحدتهم في عهد بسمارك فدخلت مذ ذاك الكثلكة في طور جديد في المانية. وعدد ابنائها اليوم يبلغ عشرين مليوناً اي ثلثاً من اهلها واكثرهم مواظبون على واجباتهم الدينية. وبعد ان كان سنة ١٨٨٠ عدد جرائدهم الكاثوليكية ١٨٠ جريدة فهو يبلغ اليوم ٥٠٠ بنيف. ومؤتمراتهم السنويّة تُعدّ فوزًا باهرًا للمذهب الكاثوليكي عموماً تحسب لها الدولة نفسها حساباً وترى فيهم جلالة الامبراطور ضامناً لمعاكسة الاشتراكيين واهل الفوضى فشكرهم على حسن مساعيهم

نجاح الكنيسة الكاثوليكيّة في الصين — قدم باريس السيّد دي غبريان (Mgr. de Guébriant) احد مرسلي الصين ولساقفتها الخبيرين باحوالها فخطب في نوادٍ مختلفة امام الجمعيّات العلميّة عن مملكتها واحوالها ومستقبلها ومما قالهُ في احدى خطبهِ « انَّ عدد الكاثوليك في الصين منذ عشر سنوات كاد يبلغ ضعف ما كان عليهِ قبلًا فانهُ لا يقلّ اليوم عن ١,٤٠٠,٠٠٠ فضلًا عن ٥٠٠,٠٠٠ مرتشد يستعدون لقبول المعموديّة. وفي الصين ما عدا المرسلين الاوربيين من عشر رهبانيّات ٤٠٠ كاهن وطني. اما المتنصرون فكانوا قبلًا كلّ سنة ٥٠,٠٠٠ وهم اليوم يفيقون على ٨٠,٠٠٠ والمرجّح انهم آخر العام الجاري يزيدون على ١٠٠,٠٠٠ ومعظم الفضل في ذلك على ما قال الخطيب عائد الى « المرسلين اليسوعيين واللازريين » الذين نظموا رسالاتهم على احسن طريقة وارقى مثال

استقلال الكنيسة البلغاريّة الكاثوليكيّة — انَّ الدولة العليّة اعترفت اخيرًا باستقلال الكنيسة البلغاريّة الكاثوليكيّة في ولاياتها البلقانيّة فمنحت السيد ميروف اسقفها براءة تجعلهُ كممثل رسمي لكنيستهِ وبذلك تزول عدّة مشاكل بينهُ وبين البلغار الارثدكس

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ت.ب.من بيت مري هل يجوز في الطقوس الشرقية الزواج شرعاً بين الشاب وابنة اختهِ

الزواج بابنة الاخت

ج هذا الزواج محرَّم بل باطل لمانع القرابة الدمويَّة في الدرجة الثانية. لكنَّ هذا المانع مرتَّب من جهة الناموس الكنائسي فيستطيع رؤساء الكنيسة ان يفسحوا منهُ لدواعٍ صوابيَّة مهمَّة

س سأل غلبونيٌّ ابوجد بين علَم القرية في لبنان المسمَّاة غلبون وعلَم الشاعر ابن غلبون علاقة ما

ج كلا فانَّ هذا مجرَّد اتفاق في الأعلام

س سأل احد قرَّاء المشرق اصحيح ما كتبتهُ مجلَّة الكلمة اخيرًا (في عدد ايلول ص ٢٤٨) انَّ الشيعة الماسونية ألَّفها الكاثوليك لتفرزم من الكنيسة البابوية كما ألَّفوا شيعاً مختلفة لسبب بدعها العديدة ولاسيما بدعة الرئاسة البابوية

الكلمة ومزاعمها

ج هذا القول من جملة اقوال أخرى عديدة تُضمِّنها المجلَّة كلَّ عددٍ من اعدادها لتبرِّد قلبها المحروق على الكنيسة البابويَّة ووحدتها ونظامها العجيب وسموّ تعاليمها وثباتها في الايمان رغماً عن كل صدمات الجحيم. فلندعها وشأنها. اما قولها عن خروج الماسونيَّة من الكنيسة الكاثوليكيَّة فلا سند لهُ البتَّة كما يظهر لكلّ من لهُ بعض المام بتاريخ هذه الشيعة وكما رويناهُ عن اصدق الموارد في كاريسنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » التي اثنى عليها صاحب الكلمة في الصفحة ٣٤٥ من عدد ايلول . لكنهُ لم يستحي ان ينسب هناك الى الكهنة الكاثوليك اعظم الفظائع التي يفضلون عليها الموت الف مرَّة وهي قولهُ ان الاب الروحي الكاثوليكي الذي يسمع اقرار الماسوني بخطاياهُ « من الواجب عليهِ ان يُشعر بقيَّة السيحيين بما اعترف بهِ اولئك الماسون قبيل وفاتهم » فانظر رعاك الله انصاف كاتب الكلمة ودرجة علمهِ بالكاثوليك واحترامهم للاسرار. زه زه !

ل.ش